مفهوم

تجديد الدين

النظرية.. والتطبيق

مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية بكلية الآداب جامعة كفر الشيخ
العدد الحادي عشر الجزء الخامس
يناير ٢٠١٦م

علي جابر العبد الشارود

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

مفهوم تجديد الدين
النظرية والتطبيق

اسم الباحث: علي جابر العبد الشارود

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، **كلية** أصول الدين والدعوة، **جامعة** الأزهر، **المنصورة**، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: AliElsharoud٢٦١.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يعد مفهوم تجديد الدين من أكثر المفاهيم حاجة إلى توضيح وتجلية، وذلك لكثرة اللبس وسوء الفهم الذي حل بهذا المفهوم، بين دعة التبديل والتغيير في ثوابت هذا الدين تحت دعوى الحداثة أو العصرنة، ودعة التقيد بالكتابة التراثية والجمود على ما جاء بها ناسب العصر أم لم يناسبه.

ومن هنا فإن هذا البحث – معتمدا على المناهج البحثية: التحليلي والتأصيلي، والتاريخي- قد هدف إلى تجلية مفهوم تجديد الدين، وبيان مقصوده الذي لا يعدو أكثر من تنقية حقائق الدين مما شابها وأدخل عليها حتى يعود صافيا كما جاء به المعصوم صلى الله عليه وسلم.

وبالتالي، فإن هذا البحث، قد أكد على الضوابط اللزمة للتجديد، والتي تتمثل في: عدم التصادم مع النصوص الشرعية، والتزام الاستمداد من مصادر الإسلام، وعدم الابتداع فيه، وأن يتناسب التجديد مع روح هذا العصر.

وقد خلص البحث إلى أن تجديد الدين – في هذا العصر- عمل ضروري من جهة تقادم الزمن ودخول بغض البدع والمستحدثات عليه، وبالتالي بات في حاجة إلى تنقية وتجلية تظهر روعته وجلاله من خلال حسن العرض واستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة، والاجتهاد في استنباط أحكامه على الوقائع المستحدثة.

الكلمات المفتاحية: التجديد – البدعة – الاجتهاد – ضوابط تجديد الدين- المجددون- عمر بن عبد العزيز- التجديد الجماعي.

The meaning of "tajdid aldiyn" "Modernism" between theoretical and practical method

Name: Ali Gaber Al-Abd El-Sharoud

Da`wah and Islamic Culture، Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah، Al Azhar University، Mansoura، Egypt.

E-mail: AliElsharoud٢٦١.el@azhar.edu.eg

Abstract:

This study identifies the concept of **tajdid aldiyn** and reveals the pure image for Islamic beliefs enacted by Prophet Muhammad (Pease be upon him)، the researcher tried to remove the confusion accrued to some people because of change in Islamic origins under the claim of modernism and the adherence to Islamic core values. Regarding this، this study confirms the main conditions for modernism represented in: Any attempt must be accrued in matching with Islamic provision and providing from Islamic sources without change in it.

The modernism should be an appropriate to soul of age and values of people live in.

The researcher concluded that renewing religious aspects is necessary matter at this time regarding novelty and modernism. Thereupon، these aspects require more clarification to reveal its glory، beauty through forming better understanding and using modern strategies to realize it. Independent judgment is very important to identify Islamic crisis also.

Keywords: Modernism ،novelt - independent judgment ،the condition of modernism - renewed peopl - Omar Bin Abdul-Aziz - renew attempt by different parties.

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمدُه، ونستعينُ به، ونستهديه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .... (وبعد) .

فإنَّ من أعظم خصائص هذا الدين، والتي جعلته أهلاً لتبوُّء الريادة والزعامة بين الأديان، كونه صالحاً لكل زمان ومكان، قابلاً للتطبيق العملي في كل الظروف والأحوال، لا يتسع بزمن ويضيق بآخر، ولا يناسب مكاناً، وينبذ آخر، جمع بين دفتيه الثبات والتغير، والجمود والتطور، فصحَّ وصفه بأنه دينٌ متجدد، باقٍ ما بقيت الإنسانية، دائمٌ ما دامت السماوات والأرض، ولعلَّ السبب الرئيس في هذا، هو كون غالب نصوصه كلية إجمالية، وليست جزئية تفصيلية ؛ تختلف الفهوم في إدراكها، وتتسع العقول لمدلولاتها .

لذا فإنَّ هذا الدين الكامل بحاجة إلي عقلٍ سديد، وفهمٍ رشيد، يُنزلان قضاياه علي الواقع، ويستنبطان أحكامه للمستجدات، وهذان ـ العقل والفهم ـ هما قواما عملية التجديد والاجتهاد ولولاهما لفقد الدين أهمَّ خصائصه ومزاياه، ولبقى دينا جامدا لا روح فيه ولا حراك .

ومن حفظ الله عز وجل لهذا الدين، ولطفه بهذه الأمة، أنه " يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا "[1] وتجديد هذا الدين عودة به إلي حالته

---

(١)رواه أبو داود، في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم (٤٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٨٥٩٢) وسكت عنه الذهبي في التلخيص، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٥٩٩).قال السيوطي في مرقاة الصعود: اتفق الحفاظ على تصحيحه، منهم الحاكم في المستدرك، والبيهقي في المدخل، وممن نص

الأولي، التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يتطلب تنقية الدين ممَّا علق به، سواء كان ذلك في فهمه، وما التبس علي الناس، أم كان ذلك في تجريده من الأمور التي أضيفت عليه، حتى صارت وكأنها منه .

كما يتطلب ذلك استعادة ما انتُقص منه، ولعل أولَّ ما انتُقص منه، هو جلاله في صدور الناس، وحاكميته للحياة، وهذا يتطلب إعمال العقل في استنباط الأحكام الشرعية للمستجدات الحياتية، والتشمير في الدعوة إليه وإبراز محاسنه ومزاياه .حتى لا تنقض عراه على مشهد منا.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ"[1] وفي حديث حذيفة بن اليمان ط قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ؛ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ: الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا"[2]

على صحته من المتأخرين الحافظ بن حجر(السيوطي، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، تحقيق، محمد شايب شريف، الأولى، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١٢م، ١٠٥٧/٣).

(١) صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، رقم (٦٧١٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، رقم (٤٠٤٩). وصححه الألباني، (محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها).

أهمية البحث:

إنَّ قضية تجديد الدين، وبالرغم من كثرة الأبحاث التي تناولتها، والمؤتمرات والندوات التي خاضت فيها، إلا أنَّها ما زالت في حاجة إلى كثير من البحث والدراسة ... فالمفهوم ذاته ـ تجديد الدين ـ ما زال إلى الآن تعلوه غمامات لا تكاد تفصح عن مدلوله، ولعل هذا هو السبب في أنَّ كثيراً من العلماء والدعاة يقشعرون من سماعه، وبالأحرى استخدامه، مخافة اختلاطه بالمفاهيم الغربية الوافدة، كالحداثة والتطوير وغيرها.

واللفظ الصريح الذي ورد في الحديث السابق يوجب علينا أن نستخدمه لا أن نتجاهله، ولكن قبل ذلك ينبغي توضيح معالمه وضوابطه حتى نستطيع أن نميز بينه وبين غيره من المصطلحات، التي تحل محله وليست منه والإسلام منها بريء.

إننا في حاجة إلي تنظير علمي لقضية التجديد، تكون مفتاحا للجانب العملي لها،، بحاجة إلي توضيح معني التجديد ومشروعيته، وضوابطه، ومن ثم فإن الجانب العملي يسير حسب هذا الوصف لا يتعداه ولا يزيغ عنه .

ومن هنا يأتي هذا البحث ليجمع بين التجديد كنظريةٍ علمية، والتجديد كتطبيقٍ عملي، وهذان الأمران ـ النظرية والتطبيق ـ نحتاجهما بشدَّة في هذا الزمن بالذات، حتى يكونا رداً علي من يُنكر التجديد، من جهة، وتمهيداً لطريق من يفتح الله عليه لتجديد هذا الدين من جهة أخرى.

وغرضي من هذا البحث ثلاثة أمور، أولها: أن أساهم بإضافة – ولو بسيطة – تضاف للفكر الإسلامي ، وثانيها: أن أُؤصل لقضية كثر التخبط حولها، وأُقربها للأذهان، وثالثها: أن أطرق بهذه القضية العقل المسلم ؛ حتى لا يتناساها وتكون في

بؤرة اهتمامه وأولوياته.

ومن ثم فقد هدف هذا البحث إلى مناقشة الجانب الكاشف في عملية التجديد، وعدم التوقف أو التعرض للجانب السلبي المدافع عن المواقف والأفكار الخاطئة أو الخبيثة والتي كثرت في هذا العصر تحت مسمى تجديد الخطاب أو الفكر الديني.

منهج البحث:

قد اعتمد البحث على عدة مناهج بحثية معتمدة، تمثلت في المنهج الوصفي التحليلي حيث تناول أقول الفقهاء مجردة كما هي في مفهوم التجديد وقضاياه، ثم العمل على تحليلها واستخلاص النتائج والأفكار من خلالها، والمنهج التاريخي، حيث تتبع سير التجديد من خلال تاريخ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كجانب تطبيقي لهذا البحث.

- **خطة البحث:**

يتكون هذا البحث من مقدمة وستة مباحث وخاتمة وذلك على النحو التالي:

مقدمة: تشتمل على توطئة لموضوع البحث وبيان أهميته وخطة البحث

المبحث الأول: المقصود بتجديد الدين ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تجديد الدين مفهوما

المطلب الثاني: تجديد الدين بين الابتداع والاجتهاد

المبحث الثاني: دواعي التجديد وأهميته

المبحث الثالث: مشروعية تجديد الدين وضوابطه ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مشروعية تجديد الدين

المطلب الثاني: ضوابط تجديد الدين

المبحث الرابع: آفاق التجديد ومجالاته في الواقع المعاصر ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: آفاق تجديد الدين

المطلب الثاني: نماذج من مجالات تجديد الدين في الواقع المعاصر

المبحث الخامس: القائم بتجديد الدين ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: شروط المجدد وصفاته

المطلب الثاني: ضرورة التجديد الجماعي في الوقت الحاضر

المبحث السادس: عمر بن عبد العزيز نموذجا للمجددين

الخاتمة والمراجع .

فإن تمَّ لي ما أردت فهذا فضل الله علي، وإلَّا فحسبي أنِّي بذلت وسعي، والمرء مأخوذٌ على البذل لا على النتيجة، وكما قال صفي الدين الحلي:

لـــو أنَّ كـــل يســـيرٍ رُدَّ محتقـــراً لم يقبـــلِ الله يومـــاً للـــورى عمـــلا
فـــالمرء يهـــدي عـــلى مقـــدار قُدرتـــه والنملُ يُعـذَر في القـدر الـذي حمـلا

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به، وهو ولي ذلك والقادر عليه.

علي جابر الشارود

المبحث الأول

المقصود بتجديد الدين

المطلب الأول

تجديد الدين مفهوما

تمهيد:

يُعتبر مفهوم (تجديد الدين) من أكثر المفاهيم التي تداولتها ألسُن الكُتَّاب؛ على تنوع ثقافتهم وعلومهم، واختلاف بُغيتهم ومرادهم، حتى صار هذا المفهوم وكأنه من الأضداد، فبعض الباحثين يذهب به حيث يجعله عين التحجر والجمود، وآخرون منهم يجعلونه نفس الانفلات والانسلاخ.

ونحن مسبقاً لا نميل لا إلى هؤلاء وإلى أولئك، ولكننا نتبع ونُجل ما ينتهي بنا البحث العلمي المنصف، والتدبر العقلي الجلي، والنقد السوي المنهجي.

وليس بخافٍ على أحد، أن توضيح المفاهيم وإزالة اللبس عنها، ولاسيما مثل هذا المفهوم الذي يمس الدين ويلتصق به، من أهم الأمور التي يجب على الباحث أن يشمر لها، ويقضي الوطر في جلائها وتبيانها.

وحتى نسير على طريقِ نَهْجٍ، فإننا نبدأ ذلك بالنظر إلى معنى التجديد من خلال كلام العرب، ثم نُتبع ذلك النظر في الأصول الإسلامية (القرآن والسنة)، بعد ذلك ننتقل إلى معنى(تجديد الدين) كمصطلح له معالمه البارزة، ورد في الحديث الشريف، وتناوله العلماء قديماً وحديثا.

أولا : التجديد في اللغة

كلمة (التجديد) في اللغة العربية، مأخوذة من جدَّد الشيء؛ إذا صيَّره جديداً،

وأصلها من الجِدة وهي نقيض البلي، يقال: جدَّ الثوبُ والشيء يَجِدُّ فهو جديد، وأجدَّه أي الثوب، وجدَّده، واستجده، صيَّره جديداً، وهو نقيض الخلِق. ويقال للرجل إذا لبس ثوباً جديداً: أَبْلِ وأجِدَّ وأحمد الكاسي، ويقال: بلي بيت فلان، ثم استجدّ بيتا من شَعْر.

وكذلك سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً، ولذلك يسمى الليل والنهار: الجديديْنِ والأَجدَّيْن؛ لأنَّ كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد .

والجديد: ما لا عهد للإنسان به؛ ولذلك وصف الموت بالجديد. قال الشاعر:

فقلت لنفسي- يالك الخير إنَّما يدليك للموت الجديد حبائها[1]

والجديد: بمعنى مقطوع، يقال: هذا عهد جديد أي:مقطوعٌ ومغايرٌ لما سبقه .

وبالنظر إلي (التجديد) في أصل معناه اللغوي من خلال ما سبق، يتبيَّن أنَّ كلمة التجديد تطلق ويراد بها أكثر من معنى. جماع ذلك أمران اثنان:

١- فقد يطلق التجديد، ويراد به تغيير وتبديل، ليس له صلة بالقديم البالي، فهو شيئ لا عهد للإنسان به، ومن ذلك قولهم "بلي بيت فلان ثم استجدَّ بيتاً من شَعْر" فليس ثمة اشتراك بين البيت القديم والجديد، إلا أنَّ كلاً منهما بيتٌ صالحٌ للسكن والمعاش، أمَّا ما سوي ذلك من صفات، فلا يحتملها معنى التجديد هنا، فقد يكون تجديده لبيته على نفس شكل البيت الأول وهيئته،وقد يكون مغايراً تماماً له.

ومن ذلك أيضاً قولهم لمن لبس ثوباً جديداً: " أَبْلِ وأجِدَّ وأحمد الكاسي"

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الثالثة، بيروت، دار صادر،١٤١٤هـ، ١٠٧/٣؛ الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر ١٩٩٥م، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ص١١٩، ابن فارس، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م، ٣٦٥/١ .

ومقصود قولهم: أن يُعمَّر الإنسان حتى يخلق ثوبه ويبلى، ثم يتخذ ثوباً آخراً مغايراً له، فالتجديد هنا لا يكون بإصلاح أو ترقيع، وإنما باتخاذ ثوبٍ آخرٍ، لم يُستخدم من قبل، و إلا لصح أن يقال للثوب الغسيل أنه جديد. وفي الحديث: رأي النبي ﷺ على عمر ثوباً أبيض فقال: " أَجَدِيدٌ قَمِيصُكَ أَمْ غَسِيلٌ؟قَالَ: بَلْ جَدِيد ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :الْبسْ جَدِيدًا ، وَعِشْ حَمِيدًا ، وَمُتْ شَهِيدًا "[1]

٢ ـ وقد يطلق (التجديد) ويراد به العودة إلي ذات الشيء- قبل أن يُصيبَه البِلى، ويلحق به التغيير-، والإبقاء على أصله وجوهره، من غير زيادة عليه أو نقصٍ منه .

وذلك كقولهم " جدَّد وضوءه، وجدد له العهد " فتجديد الوضوء، ما هو إلا إعادة للوضوء الأول على نفس هيئته وأركانه، وتأكيدٌ له، وكذلك تجديد العهد ما هو إلا إعادة وتأكيدٌ له.

ويمكن القول: إنَّ فهم كلمة التجديد في لغة العرب، يعتمد اعتماداً كلياً على الشيء المجدَد، أو المراد تجديده، من حيث قبوله التغيير والتبديل والتطوير، وهذا غالباً ما يكون في المحسوسات، بعيداً بعض البعد عن الأمور المعنوية .

كما يعتمد أيضاً على بِنية الجملة وفهم معناها، فمثلاً إذا قيل: بلي بيته اللبني فأجدَّ بيتاً من حجر فُهم ما تم فيه من تغيير وتبديل، أمَّا إذا قيل: " بلي جزءٌ من بيته فأجدَّه أو جدَّده" كان المعني أنَّه أعاده إلي ما كان عليه قبل البلى.

التجديد في القرآن الكريم :

لم يرد في القرآن الكريم لفظ جدَّد أو تجدَّد أو تجديد، وإنما ورد لفظ " جديد "

---

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، ٣٢٠/١٥رقم (٦٨٩٧).

وقد ورد ثماني مرات، ليؤكد ما استخلصه الباحث من معنيي التجديد في لغة العرب:

١ـ جديد بمعني إعادة الشيء إلى ما كان عليه قبل البلي

وذلك في قوله تعالي:﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[الرعد:٥]

يقول الإمام الطبري: " أئنا لفي خلق جديد " أي إنَّا لَمُجدَّدٌ إنشاؤنا وإعادتنا خلقاً جديداً كما كنا قبل وفاتنا "[١] !! يدل على هذا ويوضحه قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الكهف : ٤٨].

ومثله قوله تعالي:﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]وكذلك قوله تعالي:﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء : ٩٨] .وقوله تعالي:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ :٧] .وقوله تعالي: أَفَعَيِينَا ﴿ بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق:١٥] .

٢ ـ التجديد بمعنى تبديل الشيء وتغييره:

وعلي هذا جاء قوله تعالي: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ [﴾ إبراهيم : ١٩]

(١) تفسير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، الأولي، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٦، ١٤٢٠/٣٤٦.

يقول الإمام الطبري في معنى الآية [1]: "إنَّ الذي تفرَّد بخلق السماوات والأرض من غير مُعين ولا شريك، إن هو شاء أن يُذهبكم فيُفنيكم، أذهبكم وأفناكم، ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم، فيجدد خلقهم .... وما إذهابكم وإفناؤكم، وإنشاءُ خلق آخر مكانكم، علي الله بممتنع ولا متعذر".

ويقول الإمام القرطبي مؤكداً ما ذهب إليه الإمام الطبري، من أنَّ المقصود من التجديد هنا هو التغيير والاستبدال:" إن يشأ يذهبكم" أي هو قادر علي الإفناء كما قدر على إيجاد الأشياء، فلا تعصوه، فإنَّكم إن عصيتموه "يذهبكم ويأت بخلق جديد " أفضل وأطوع منكم، إذ لو كانوا مثل الأولين فلا فائدة في الإبدال [2].

وقال قتادة: " إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد " أي يأت بغيركم[3] .

وقال النسفي: " أي هو قادر على أن يعدم الناس، ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم، أو على خلاف شكلهم؛ إعلاماً بأنَّه قادرٌ على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم "[4]

التجديد في الحديث النبوي الشريف :

وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة مشتملة على هذا المصطلح صراحة، كما حددت الأمر المجدد والذي يحتاج إلى تجديد، وبعضها جاء بلفظ "جديد ".

١ ـ التجديد بمعني إعادة الشيء إلى ما كان عليه:

---

(١) السابق، ٥٥٦/١٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن،بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ،٣٥٤/٩.

(٣)تفسير الطبري ٤٥٤/٢٠.

(٤) تفسير النسفي، تحقيق مروان محمد الشعار، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٥م، ٣٧١/٢.

ومن ذلك قولهﷺ: " إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"[١] "أي: بإحياء ما اندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة، وما ذهب من السنة، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة"[٢]ومن ذلك قولهﷺ: " جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ "[٣] .وقولهﷺ: " إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَوبُ، فَاسْأَلُوا الله تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدْ الإِيمان في قُلُوبِكُم "[٤].فالمقصود من تجديد الإيمان في الحديثين: إحياء الإيمان في القلب، حتى يبقى قائما نديا طرياً.

ب ـ التجديد بمعني تغيير الأصل وتبديله:

كما في الحديث المتقدم عن ابن عمر رضي الله عنهقال: رأى النبيﷺ على عمر ثوبا أبيض، فقال: أَجَدِيدٌ قَمِيصُكَ أَمْ غَسِيلٌ؟ قَالَ: بَلْ جَدِيد ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:"الْبسْ جَدِيدًا ، وَعِشْ حَمِيدًا ، وَمُتْ شَهِيدًا " [٥] .

خلاصة المعني اللغوي :

إنَّ أصل " التجديد " في لغة العرب، قد يأتي بمعنى التحديث، والتطوير، والتبديل، والتغيير، وقد يأتي بمعني الإحياء والبعث والإعادة، وهذا كله موجود في كلام العرب، وجاء به القرآن الكريم و أكدَّه، وكذلك السنة النبوية المطهرة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الإمام المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الثانية، بيروت، دار النهضة الحديثة، ١٠/١.

(٣)الإمام أحمد في المسند (٨٦٩٥)،والحاكم في المستدرك، كتاب التوبة والإنابة،رقم (٧٦٥٧) .

(٤) الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، رقم (٥).

(٥) سبق تخريجه .

" غير أنَّ هذا المعنى اللغوي، لا يصوِّر لنا حقيقةً واضحة وافية ... بل لا تزال المسافة منفرجة بين المعنى اللغوي والمعنى العرفي " [١].

إذ من الممكن أن يتعلق المعنى الاصطلاحي ببعض مفردات المعنى اللغوي، أو أحدها، ويضاد باقيها. فاللغة العربية وإن كانت طريقا للتعرف على المعني الاصطلاحي، وأصلا لازماً من أصول فقه النص الشرعي، إلا أنَّ هذا لا يعني أن يتعلق المصطلح بكل المعاني اللغوية له، فاللغة في بعض الأحيان، تجمع للاصطلاح الواحد متناقضات عدة.

ولذا فإننا بحاجة إلي النظر في مصطلح التجديد الذي جاء في الحديث الشريف، نتعرف من خلاله ومن خلال بدهيات هذا الدين مراد النبيﷺ منه.

ثانيا : تجديد الدين اصطلاحا:

فقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف تجديد الدين، وتعددت صيغهم في ذلك، ولكنها لم تخرج عن محاور ثلاثة [٢]:

١ـ إحياء ما انطمس واندرس من معالم الدين، ونشرها بين الناس، وحمل الناس علي العمل بها.

قال الإمام السيوطي: "معني التجديد: إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما"[٣] وقال المناوي: " إحياء ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنة، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة" [٤].

---

(١) د. محمد عبد الله دراز، الدين، الخامسة، الكويت، دار القلم، ص٦٣.

(٢) يراجع: عدنان محمد أمامة، التجدد في الفكر الإسلامي، الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩، ص١٦- ١٨.

(٣) تحفة المجتهدين بأسماء المجددين، رسالة مخطوطة، دار الكتب المصرية، رقم ٨٢٦٠.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، الثانية، بيروت، دار النهضة الحديثة، ١/١٠. والمراد بالعلوم الباطنة علوم الخشية

فعملية تجديد الدين، إحياء ما انطمس منه، سواء كان من ناحية العلم به، أم من ناحية العمل، ونشر ذلك بين الناس.

هذا الإحياء لا يعني بالطبع إحياء نفس الدين، فالدين حي دائماً، باقٍ أبداً، محفوظ بحفظ الله له﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر : ٩]،وإنَّما المقصود إحياؤه في نفوس الناس من جهة، وإبراز معالمه وتبيان أحكامه من جهة أخرى، والتمسك به والعمل بمقتضاه من جهة ثالثة.

"فالتجديد المقصود المنشود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة في أذهان الناس عن الدين، ورسم للصورة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين" [١].

٢ـ قمع البدع والمحدثات، وتعرية أهلها، وتنقية الإسلام مما علق به من أوضار الجاهلية، والعودة إلى ما كان عليه زمن الرسول ﷺوصحابته الكرام .

فتجديد الدين عودة به إلى الحالة التي نزل عليها، وبلَّغها النبيﷺ دون زيادة عليه أو نقص منه، فالتجديد الحق إزالة ما طرأ على الدين، ومحو ما تراكم عليه من طول الأمد، وكثرة الأعوام.

قال الإمام المناوي : "يُجدد لها دينها : أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصُر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم" [٢].

والمراقبة ونحوهما.

(١) المنتدى الإسلامي، التجديد في الإسلام، الثالثة، ١٩٩٩م، صـ٤٢ .

(٢) المرجع السابق : ١٠/١ .

فتجديد الدين يقتضي، دحض شبه المعاندين، وشن الغارة على البدع والمبتدعين، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يقتضي فصل الدين السماوي عن الفكر البشري، وذلك بالعودة إلى الينابيع الأساسية(القرآن والسنة) التي يُستقي منها الدين- بغض النظر عن التراث الفكري الذي يحوي الصحيح والسقيم-، وفهمهما من خلال القواعد التي وضعها العلماء الأثبات .

٣ـ تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدُّ من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي.

فالمراد بتجديد الدين: "هو تجديد الفهم له، والإيمان به، وتنزيل تعاليمه في ضوء ظروف المجتمع والمشكلات التي يعاني منها "[١].

فالدين ثابت لا يتغير ولا يتبدل، وإنما الذي يتجدد هو الفهم لمعانيه، وأحكامه، والتجديد في استنباط الأحكام الجزئية من القواعد الكلية مما يتناسب مع كل عصر ومصر، ومع تغير الظروف والأحوال، واختلاف البيئات والعادات.

فالتجديد فقه للنص وفقه للواقع، والعمل على معالجة مشاكل الواقع ومستجداته على هدي النص وتوجهاته، حتى لا يحدث انفصام بين الزمان والشرع، والدين والدنيا.

---

(١) د. طه جابر العلواني، مقدمة كتاب مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، أ. عمر عيد حسنة، الأولي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص٣.

المقصود بالدين المراد تجديده:

كلمة الدين – كما ذهب الدكتور دراز – لها معنيان لا غير"أحدهما: هذه الحالة النفسية التي نسميها التدين، والآخر: تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية، أو الروايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقاداً أوعملاً ".[1]

وبالتالي، فإن معنى الدين في المجمل لا يخرج عن هذين الأمرين: المنهج الإلهي المنزل، أو العلاقة الرابطة بين الإنسان وبين هذا المنهج؛ وإذا كان المعنى الأول لا يقبل التجديد ولا يحتمله فإن معنى التجديد يبقى منحصرا في المعنى الثاني، اللهم إلا إذا كان معنى التجديد لا يخرج عن نطاق التجلية والتنقية والعودة بالدين إلى عهد النبوة، فإنه من هذا الوجه فقط يتعلق التجديد بأحكام الدين ومبادئه.

يقول الدكتور محمد سعيد البوطي: "وإنما يتمثل عمل من يبعثهم الله لتجديد هذا الدين في حمل الناس على تجديد بيعتهم لله، وعلى العود إلى الانضباط بهديه وأحكامه، بعد طول تفلت وشرود..وعلى إصلاح ما تصدع من صرحه، وتمتين ما هوى من دعائمه، وسد ما تفتح من ثغرات في مفاهيمه، وترك أحكام المستجدات من الحوادث والمصالح والأعراف، على كليات القواعد الفقهية، والمبادئ الأصولية وقواعد تفسير النصوص، دون أي عبث بها، ودون أي استجرار لها إلى ما تتطلبه الرغائب والأهواء، وحظوظ النفس ومغانم الدنيا. "[2]

---

(١) د. محمد عبد الله دراز، الدين، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

(٢)د.محمد سعيد البوطي، الإسلام بين التجديد المطلوب والتبديل المرفوض، ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢، صـ١٦٤.

خلاصة معني تجديد الدين :

فتجديد الدين إذن: عبارة عن إحياء ما اندرس من معالمه وأحكامه، وتنقيته مما طرأ عليه من ناحية عقيدته وشريعته، حتى يعود خالصاً نقياً كما كان عليه في عهد النبيﷺ وصحابته، والعمل على تنزيل تعاليمه وأحكامه على قضايا الحياة ومستجداتها .

أو كما قال الإمام السيوطي : " المراد بتجديد الدين : تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته "[1].

وهذا المعني للتجديد وإن كان يرتبط بأحد معنييه في اللغة وهو العودة بالشيء إلى ما كان عليه، فإنه أيضاً يرتبط بالمعنى الآخر وهو التغيير والتبديل مادام منصباً على فكر المتدين وفهمه، فالتجديد في كثيرٍ من الأحيان تغيير لأفهام الناس وأفكارهم المترسبة في أذهانهم عن الدين، دون مساس بالدين نفسه .

تنوع طرق التجديد:

فتجديد الدين قد يكون تجديداً وقائياً؛ بمعنى إحاطته بالعناية، والمحافظة على أصوله وثوابته من أن يمسهما تغيير أو يطرأ عليهما تبديل. وقد يكون تجديداً علاجياً، وذلك بإزالة ما علق به من شوائب، وما مسه من أدران، وما تراكم عليه من عوامل الزمان والمكان سواء كان إضافةً أو نقصاً، ومحاولة العودة به إلى ما كان عليه في عهد النبي ﷺ وأصحابه.

---

(١)يراجع: محمد رشيد رضا، مقال : الجمع بين مسألة الذكران والإناث في المدارس، ومسألة التجديد والتجدد، مجلة المنار، المجلد ٣٠، صـ١١٥ .

وقد يكون تجديداً تدعيمياً، وذلك بحفظ العلوم التي تقرب إلى فهمه، واستحداث الوسائل التي تساعد في المحافظة على حالته ووضعه.

وقد يكون تجديداً بنائياً، وذلك بنشره والدعوة إليه وعرضه بطريقة تجمع بين اليسر والحسن والمنطق.

ولو أردنا أن نأخذ مثالاً حياً لذلك في عهد الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبي ﷺ، فنجد أن جمع القرآن في المصاحف في عهد أبي بكر ﷺ خشية عليه بعد موت الحفاظ، يدخل تحت نطاق التجديد الوقائي، وأنَّ محاربة المرتدين ومانعي الزكاة، كان تجديداً علاجياً، واستحداث علم النحو وغيره من العلوم التي تساعد على المحافظة على لغة القرآن وفهمه، تجديداً دعامياً، والفتوحات الإسلامية، ونشر الدعوة في بقاع الأرض نوع من التجديد البنائي.

المطلب الثاني

تجديد الدين بين الابتداع والاجتهاد [1]

أولا: العلاقة بين التجديد والابتداع

تمهيد:

من الأسباب القوية التي تحجم بعض العلماء والمفكرين المسلمين من تقبُّل أمر تجديد الدين وتفهمه، هو هذا الخلط الذي يقع كثيراً بين التجديد والابتداع، ظناً منهم أن التجديد نوع من أنواع الابتداع وطريق مفضٍ إليه.

ويتساءل البعض هل تجديد الدين هو نفس الابتداع فيه؟، وإذا لم يكن التجديد ابتداعاً فما فائدته وجدواه؟!

والحق أنَّ مسألة "علاقة التجديد بالابتداع " تحتاج إلى دراسة متأنية حتى تتحرر المصطلحات، وحتى يقف المشايع الداعي للتجديد، والمعارض المحجم عنه على أرض قوية.

تعريف البدعة:

"البدعة في اللغة: كل شيء أحدث على غير مثال سابق، والبِدع والبديع: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ [﴾الأحقاف :٩]، أي ما كنت أوَّل من أرسل، وقد أُرسل قبلي رسلٌ كثير. والمبتدع: الذي يأتي أمراً على

(١) لم يشأ الباحث أن يخوض في علاقة التجديد بالمصطلحات الوافدة، أمثال: الحداثة، والمعاصرة، والتنوير، إلى غير ذلك من المصطلحات الغربية، للبعد الشاسع بين النظرتين الغربية والإسلامية إلى الدين، فالنظرة الغربية تقطع الصلة بين الحاضر والماضي، والدين والدنيا، قطعاً تاماً، ولست ممن يميل إلى عقد المبررات والتماس الجامع بين المصطلح الإسلامي والغربي،وإن كان تحرير هذه المصطلحات وتوضيحها وتبين ما ترمي إليه أمراً ضرورياً إلا أنَّ هذا البحث لا يستوعبه، وإنما اكتفى هنا بالمصطلحات التي خرجت من نبع الأمة ومعينها.

شبه لم يكن ابتدأه إياه" [1].

ومن هذا المعنى سُمِّي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة.

أما في الاصطلاح: فطريقةٌ في الدين مخترعة، تُضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبُّد لله سبحانه "[2]

فالتقييد بالدين لأنها فيه تخترع، وإليه يضيفها صاحبها، وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة، كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم .

ولمَّا كانت الطرائق في الدين تنقسم، فمنها ماله أصل في الشريعة، ومنها ما ليس له أصل فيها، خص القسم المُخترع، أي طريقة ابتدعت علي غير مثال تقدمها من الشارع.

ومعنى :" تُضاهي الشرعية " يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها [3].

انقسام الابتداع إلى محمود ومذموم:

فليس كل ابتداع في الإسلام مذموما، بل الأمر كما قال الإمام الشافعي: "البدعة بدعتان : بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السُنَّة فهو محمود، وما خالف

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ٦/٨ .

(٢) الشاطبي، الاعتصام، الأولى، القاهرة، مطبعة الحلبي، ص٢٧.

(٣) يراجع : الشاطبي، السابق، ص ٢٨- ٣٠ .

السنة فهو مذموم "[1].

ومراد الشافعي ﷺ، أنَّ أصل البدعة المذمومة ما ليس لها أصل في الشريعة ترجع إليه، وهي البدعة في إطلاق الشرع، أمَّا البدعة المحمودة فما كان لها أصلٌ من السنة ترجع إليه .

وهذا يفسره قوله: المحدثات ضربان، أحدهما: ما أُحدث مما يخالف الكتاب والسنة، أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة، والثاني: ما أُحدث فيه من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة [2].

ويزيد ابن الأثير هذا الأمر وضوحاً وجلاءً فيقول: "البدعة بِدْعَتَان: بدعة هُدًى وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمَر اللهّ به ورسوله ﷺفهو في حَيِّز الذّم والإنكار، وما كان واقعا تحت عُموم ما نَدب اللهّ إليه وحَضَّ عليه اللهّ أو رسوله فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنَوْع من الجُود والسخاء وفعْل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما وَردَ الشرع به، لأن النبي > قد جَعل له في ذلك ثواباً فقال: " من سَنّ سُنة حسَنة كان له أجْرها وأجرُ من عَمِل بها " وقال في ضِدّه " ومن سنّ سُنة سيّئة كان عليه وزْرُها وَوِزْرُ من عَمِل بها "[3] وذلك إذا كان في خلاف ما أمر اللهّ به ورسوله ﷺ.

ومن هذا النوع قولُ عمر رضي الله عنه: نِعْمَت البدعة هذه. لَمَّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سماها بدعة ومدَحها لأن النبي ﷺلم يَسنَّها لهم؛ وإنما

(١)الحافظ ابن حجر، فتح الباري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩، ٢٥٣/١٣

(٢) الحافظ بن رجب، جامع العلوم والحكم، بيروت، دار المعرفة، الأولى، ١٤٠٨، ص٢٦٨ – ٢٦٩.

(٣) سنن ابن ماجه (٢٠٣)، مسند الإمام أحمد (١٩/٧٩).

صلاّها لَياليَ ثم تَركَها ولم يحافظ عليها، ولا جَمع النـاسَ لهـا ولا كانـت في زمـن أبي بكر، وإنما عمر ط جمع الناس عليها ونَدَبهم إليها، فبهذا سمّاها بدعـة .. وعَـلَى هـذا التأويل يُحمل الحديث الآخر " كُل مُحْدَثـةٍ بدعـةٌ " [1]إنـما يريـد مـا خـالف أصـول الشريعة ولم يوافق السُّنَّة[2].

الابتداع في أمور الدنيا وفي الفكر الإنساني:

إذا كان إطلاق كلمة "بدعة" في الشرع إنَّما يعني بها الابتداع في الدين، فإنَّ اللغة أوسع من ذلك، إذ قد تطلق أيضاً على الابتكار والابتداع في أمور الدنيا.

وهذا الابتداع لا شك لا يعد ضلالة، ولا يدخل في نطاق ذم المحدثات، بـل لا نعدوا الحقيقة إذا قلنا إنه من متطلبات خلافة الإنسان في الأرض، وإذا كان العلـماء اختلفوا في الابتداع في الدين هل هو مـذموم كُلـه، ضـلالة جُلـه، أم بعضـه محمـود وبعضه مذموم، فإنَّهم قد اتفقوا على أن الابتداع في الدنيا إذا لم يكن مرغوبـا محمـودا فما هو بالمعاب ولا المذموم.

فالإسلام يدعوا إلى إعمال الفكر والابتداع والابتكار في أمور الدنيا، بـل يـدعوا إلى بذل الجهد حتى يوافق نهاية الاستطاعة في ذلك.. مع أن تـرك الابتـداع في أمـور الدنيا خضوع واستكانة لا يقرها الإسلام، بل إنـه ينـافي وسـطية الأمـة الإسـلامية وقيادتها للأمم.

ومثل الابتكار في أمور الدنيا الابتكار والابتـداع في الفكـر الإنسـاني والاهـتمام

---

(١) صحيح ابن حبان (٥) سنن أبي داود (٤٠٦٧)، مسند الإمام أحمد (١٧/٨٥) .

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٧٩، ٢٦٧/١ .

بالعلوم الدينية والدنيوية على حد سواء، وإعمال الفكر في إبداع الجديد مما يخدم الدين والدنيا معا.

والابتداع في الفكر الإسلامي وإنشاء العلوم الجديدة يساعد على تحقيق مقاصد الشارع الحكيم وحفظ الدين الحنيف، وما كان إنشاء علم النحو علي يد أبي الأسود الدؤلي بطلب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلا لهذا الغرض .

ولم تتوقف حركة التأليف بالإنشاء والابتداع بعد هذا الأمر بل أخذت تزدهر وتنموا بدءًا من علم العروض على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، مروراً بأصول الفقه على يد الإمام الشافعي، حتى عد حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون زهاء ثلاثمائة علم وفن جلها مبتدعة ومخترعة .

بين التجديد والابتداع:

مما سبق يتضح أنَّ تجديد الدين ينافي ويضاد الابتداع فيه، فالابتداع زيادة ونقص، وإضافة وترك، والتجديد تجلية وتنقية، وإعادة وإحياء، والابتداع ينفي كمال الدين ويصمه بالنقصان، "فالمبتدع إنَّما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إنَّ الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب أو يُستحب استدراكها لأنَّه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها "[1] . أما التجديد فهو الطريق العملي لتحقيق اكتمال الدين، فهو الذي ينزل أحكام الشرع على المستجدات ويوائم بين الشرع والواقع، ويحافظ على الثوابت كما هي، ويتفهم المتغيرات.

(١) الشاطبي، الاعتصام، ص٣٧، وفيه أن مالكاﷺ كان يقول: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً".

ولهذا كانت البدع في الدين مذمومة ومردودة على صاحبها، " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[1]، وكان التجديد محمودا مبشرا به لهذه الأمة "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ".

هذا بالنسبة للابتداع في الدين (الابتداع المذموم)، أما بالنسبة للابتداع في الدنيا والفكر الإنساني، أو ابتداع له أصل في الشرع، موافق للسنة المطهرة، فهو وإن لم يكن هو والتجديد شيء واحد، فلا يبعد أن يكون التجديد ناتجا عنه، فهو بذرة والتجديد ثمرتها، أو هو شجرة والتجديد ظلها وفيؤها.

ثانياً: العلاقة بين التجديد والاجتهاد:

كثيراً ما يُعبر عن لفظ الاجتهاد بكلمة التجديد، وأكثر من ذلك ما يعبر عن التجديد بالاجتهاد، وإن شئنا الحق فإنَّ الاجتهاد والتجديد وإن كان بينهما تقارب في المعنى، إلا أنَّه يبقى بينهما بعض الاختلاف، فقد يكون التجديد في بعض الأحيان عبارة عن اجتهاد، وقد لا يكون كذلك، هذا إذا قصدنا الاجتهاد المصطلح المعروف عند الأصوليين، أمَّا إذا أبقينا الكلمة على أصلها في اللغة العربية، فإنَّ الاجتهاد يُصبح لازماً من لوازم التجديد ولا يصح تجديد بدون اجتهاد.

ولمزيد من التوضيح لهذا الأمر فإننا نمر مروراً سريعاً على معنى الاجتهاد حتى يتبين الفرق جلياً بينه وبين التجديد.

تعريف الاجتهاد:

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود،٣/١٨٤ رقم (٢٦٩٧)، مسلم، في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ٣/١٣٤٣رقم (١٧١٨).

الاجتهاد: افتعال من الجهد، والجهد (بفتح الجيم وضمها) : الطاقة؛ وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٧٩]، والجهد (بالفتح فقط): المشقة؛ يقال: "جهد دابته وأجهدها " : إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وجهد الرجل في كذا جد فيه وبالغ، وفي حديث معاذ " أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو"(١). "فالاجتهاد بذل الوسع في طلب الأمر. ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة ومشقة، يقال: اجتهد في حمل حجر الرحا، ولا يقال: اجتهد في حمل خردلة" (٢) .

وعرفه الغزالي بأنه: "بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة" (٣).

موقف الإسلام من الاجتهاد:

حث الإسلام على الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية؛ دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، أمَّا الكتاب فقوله تعالى: وَلَوۡ ﴿ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾، ومن السُنَّة المطهرة قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"(٤). وفي هذا الحديث دعوة حميمة للاجتهاد وحثٌ عليه، فالحاكم، وكذلك القاضي والفقيه، إذا اجتهد في الدين طالباً الحق فلا إثم عليه ولا حرج، بل إنَّ له

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب القاضي كيف يقضي، رقم (١٣٢٧)، سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم (٣٥٩٣٩)، مسند أحمد (٢٢٠٦٠).

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٥٣٤/٧، الرازي، مختار الصحاح، ص١١٩، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٨٤٨/١.

(٣) المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٣٤٢.

(٤) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ،١٠٨/٩ رقم (٧٣٥٢)، مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ،١٣٤٢/٣ رقم (١٧١٦).

أجرين إن أصاب وأجراً واحداً إن هو أخطأ؛ فهو مأجور في الحالين، مادام أنَّ المجتهد في الدين تحري الحق، وبذل الوسع، ولم يصدر رأيه عن هوى أو عناد.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ، لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: "كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهَّ. قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهَّ؟قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم . قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهَّ ﷺوَلَا فِي كِتَابِ اللهَّ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللهَّ ﷺصَدْرَهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهَّ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهَّ"[1] .

وأما الإجماع؛ فقد أجمعت الأمة بكل مذاهبها على مشروعية الاجتهاد، وممارسته بالفعل، وكان من ثمراته هذه الثروة الفقهية العريضة.

والعقل كذلك يوجب الاجتهاد؛ لأنَّ معظم أدلة الأحكام الشرعية العملية الظنية قابلة لأكثر من فهم، فلابد من الاجتهاد؛ لتعيين الرأي الراجح أو الأرجح، وكذلك مالا نص فيه لابُدَّ من الاجتهاد لبيان الحكم الشرعي فيه بوجه من وجوه الاستدلال، إذ الشريعة حاكمة على جميع أفعال العباد، وذلك لا يكون إلا بطريقة الاجتهاد.

"وقد مارس النبي ﷺ فعلاً الاجتهاد لتعليم أمته، وقد مضى أصحابه رضي الله عنهم بعد وفاته، فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا نزلت به قضية، فلم يجد لها في كتاب الله أصلاً، ولافي السنة أثراً، يجتهد رأيه ويقول: هذا رأيي، فإن يكن صواباً

(١) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب القاضي كيف يقضي، رقم (١٣٢٧)، سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم (٣٥٩٣٩)، مسند أحمد (٢٢٠٦٠).

فمن الله، وإن يكن خطأً فمني واستغفر الله"[1].

مجالات الاجتهاد:

محل الاجتهاد الأمور الشرعية التي لم ترد فيها نص صحيح الورود صريح الدلالة، فهذه الأمور لا مسوغ للاجتهاد فيها "وعلى هذا فآيات الأحكام المفسَّرة، التي تدل على المراد منها، دلالة واضحة، ولا تحمل تأويلاً؛ يجب تطبيقها ولا مجال للاجتهاد فيها، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢]، لا مجال للاجتهاد في عدد الجلدات، وكذلك في كل عقوبة أو كفارة مقدَّرة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣]، لا مجال للاجتهاد في تعرف المراد من أحدهما"[2].

أمَّا الأمور التي لم يرد فيها نصٌ أصلاً، أو ورد فيها نص ظني الورود والدلالة، أو أحدهما فهي مناط الاجتهاد، ومجال إعمال الفكر والقياس الديني.

الفرق بين التجديد والاجتهاد:

مما مر معنا يتضح أنَّ الاجتهاد منصب على استنباط الأحكام الجزئية من الأدلة الكلية، وإعمال العقل في تفهم النص، طبقاً للقواعد المستنبطة من الشرع، وقد وضعها العلماء ضمن ما يسمى بعلم أصول الفقه، فهو أمر خاص بالأحكام الشرعية، يبذل المجتهد فيها وسعه لطلب العلم بها، وتفهم مقاصدها، وتنزيلها على ما يجد من وقائع وأحداث.

---

(١) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، الأولى، القاهرة، دار الحديث، ٢١٩/٦.

(٢) يراجع: الشيخ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الثامنة، القاهرة، مكتبة الدعوة الإسلامية، ص٢١٦.

أما التجديد فلا يتوقف على مسألة الأحكام الشرعية الجزئية، بل يتصل بالإسلام ككل، عقيدة وشريعة، فيشمل العبادات والأخلاق والمعاملات، ينقي فهم الدين، ويبرز دور الإنسان في الدنيا، فهو حلقة اتصال بينهما.

وإذن فالاجتهاد فرع من فروع التجديد، أو جزء من أجزائه، أو بالأحرى وسيلة من وسائله، والتجديد غير مقتصر عليه، كذلك فإن المجدِّد ليس بالضرورة أن يكون مجتهداً وأن كان من المستحسن ذلك، وأيضاً فالمجتهد ليس بالضرورة أن يكون مجدداً وإن كان في عمله شيءٌ من التجديد.

المبحث الثاني

دواعي التجديد وأهميته

التجديد سنة الحياة:

التجديد عموماً هو سنة الحياة وواقعُها، وقانون الموجودات وحاكمُها، فكل شيء في هذه الحياة يتغير ويتبدل؛ فالكون الذي خلقه الله تعالى في تغير مستمر، والإنسان والحيوان والنبات بين ميلاد ونمو وموت، فالمخلوقات جميعها لا تتوقف على حالة واحدة، ولا تستقر على هيئة ثابتة، وهذا التغير والتبدل قائمٌ فيها قيام الناموس الذي لا يستطيع نكرانه منكر، ولا جحدانه مكابر. والقرآن الكريم يعبر عن ذلك في آيات متعددة، فيذكر خلق الإنسان وتطوره وكيف انتقل من طور إلى طور وَقَدْ ﴿ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا [نوح:١٤]، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ ﴿١٤﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]،﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٱلْقَدِيرُ [الروم:٥٤]، وقال عن الليل والنهار والشمس والقمر ودوام حركتها وتجددهم ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾

لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس :٣٧-٤٠]،فما لا يتجدد في هذه الحياة يفنى ويموت، سواء في ذلك المعنويات أم المحسوسات .

التجديد وطبيعة هذا الدين:

تجديد الدين أمر طبيعي؛ بل وضروري، فالدين الإسلامي يجمع بين ثوابتٍ ومتغيرات، وإذا كانت مسألة التجديد في المتغيرات، أمرا بدهيا، على أساس أنَّ التجديد في هذه الحالة هو في أصله تجديد في فهم الدين، وإنزال أحكامه على مستجدات الواقع، فإنَّ التجديد على معناه الآخر، وهو تجلية أصل الدين، وإزالة ما علق به مما ليس منه، لا شك أنه ضروري في الثوابت والأصول.

إنَّ الإبقاء على الأمور التي تتغير تبعاً لمناسبة الأحوال المتغايرة، والظروف المختلفة، دون تغيير، هو عين التحجر والجمود، كما أنَّ التغيير في الأمور الثابتة الأصيلة، التي لا تتغير ولا تتبدل، هو عين الانفلات والجحود.

والتجديد الحق إنَّما هو وضع كل شيء في موضعه، فما يحتاج إلى تغيير، فالتجديد هو التغيير وما كان طبعه الثبات، فالتجديد هو الإبقاء عليه، وتنقيته مما يطرأ عليه.

والمتأمل في طبيعة رسالة الإسلام – كبيان من الله للناس يتخطى حدود الزمان والمكان – يبرهن على أنَّ مسلمة" التجديد" إن لم تكن هي والإسلام وجهان لعملة واحدة، فإنَّها على الأقل إحدى مقوماته الأساسية، إذا تحققت تحقق الإسلام نظاماً فاعلا في دنيا الناس، وإن تجمدت تجمد وانسحب من مسرح الحياة، واختزل في طقوس تُؤدى في المساجد أو المقابر، وتُمارس على استحياء في بعض المناسبات، بل

يثبت هذا التأمل، أن تاريخ الإسلام – في أزهى عصوره – يشهد على هذه العلاقة التي لا تنفصم بين التجديد وحيوية الإسلام، كما يشهد على العلاقة ذاتها بين الجمود وانزوائه إلى ركن قصي عن الحياة وعن المجتمع" [1].

فالإسلام " في أصله ثورةٌ على القديم الفاسد، وجبٌ للماضي القبيح، وقطعُ كل العلائق مع غير الحقائق" والدين الإسلامي وإن كان في ذاته لا يتطور ولا يتغير، إلا أنَّه صالحٌ لكل تطور وتغير يحدث في دنيا الناس، وذلك كالسماء بالنسبة للأرض فهي وإن كانت ثابتة لا تتمدد إلا أنَّها تبقى محيطة بالأرض، دارت حول نفسها أو تحركت في الفضاء. ولمزيد من التوضيح نقول:

لكل تشريع خصائص وسمات تميزه عن الشرائع الأخرى لِكُلّٖ ﴿ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة:٤٨]، والتشريع الإسلامي بمجموع خصائصه تشريع فريد، بل ومغاير لجميع التشريعات، ليس من جهة أصل النشأة والغاية، ومنبع الاستقاء وطريقة الأداء، وإنَّما من جهة فحوى خطابه، وتنوع تكليفاته، واتساع دائرته.

ولسنا نخوض هنا في خصائص الدين الإسلامي بشكل مفصَّل، وإنَّما نكتفي بذكر الخصائص الداعية لتجديده، والتي تجعل التجديد صفة لصيقة به.

١- دين عالمي وخالد:

فالإسلام دين الله لجميع العالم وحتى قيام الساعة؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا

(١) د. أحمد الطيب، ضرورة التجديد، ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،٢٠٠٢، ص١٤١ – ١٤٢.

ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال: مَّا ﴿ كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] ، وقال ﷺ: " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ... وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ"(١)

فعالمية هذا الدين، عالمية مكانية، وعالمية زمانية معاً، فهو دين يمتد جغرافياً ليشمل نطاق الأرض جميعاً، ويمتد زمانياً، ليشمل البشرية من لدن محمد> وحتى قيام الساعة، فليس يقوم معه دين، ناسخ للملل السابقة، وهادم للنحل اللاحقة، مختوم بنبيه الأنبياء، وبكتابه الكتب، وبشريعته الشرائع.

ولا شك أن ديناً يحوي العالم بين دفتيه، مع اختلاف أفكار الناس وعوائدهم باختلاف الزمان والمكان، يحتاج إلى تبيين معالمه وأحكامه، والدعوة إليه بطريقة واضحة وفهم جلي على منهاج دعوة النبوة قُلۡ ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ ﴾ [يوسف:١٠٨].

كما يحتاج إلى تجديدٍ مستمر، يجلو ما يطرأ عليه من خارجه، ويزيل ما يلتبس على الأذهان نحو عقيدته وشريعته.

كذلك فإنَّ اختلاف الحوادث والنوازل، باختلاف الزمان والمكان، تستدعي تجديداً يتفهم روح الدين، ويعي مقاصده، ويجتهد في إنزال الأحكام المناسبة على

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١/٣٧١رقم (٥٢٣).

المستجدات الطارئة، حتى لا يحصل التنافر بين الماضي والحاضر، ويحدث الشقاق بين القديم والجديد.

قال الإمام المناوي " لأنَّه سبحانه لَّما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل وكانت الأيام خارجه عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تفِ ظواهر النصوص ببيانها، بل لابد من طريق وافٍ بشأنها؛ اقتضت حكمة الملك العلام، ظهور قرم من الأعلام، ليقوم بأعباء الحوادث، اجراءً لهذه الأمة مع علمائها، مجرى بني إسرائيل مع أنبيائها"[1].

فخاتمية الرسالة تعني فيما تعني" توقف التصويب والتقويم لفعل البشر عن طريق وحي السماء، وربط التصويب والتقويم لمسيرة البشر بقيم الكتاب والسنة، وحيه المحفوظ، أي أن التجدد والتجديد والعودة بالتدين إلى الجادة المستقيمة أصبح ذاتياً، ومنوطاً بالأمة في كل عصر، متمثلاً بأهل الإستطاعة فيها، لأن الأمة أصبحت تمتلك معيار التصويب في الكتاب والسنة، القادر على تقديم الواقع في كل وقت، وتحديد جوانب الخلل فيه، بل والهداية إلى كيفية التقويم والتجديد والعودة إلى الجادة المستقيمة"[2]

٢ـ دين شامل لكل أمور الحياة:

فالدين الإسلامي، دين شامل لكل مناحي الحياة، العقدية والأخلاقية، المادية والروحانية، الفردية والاجتماعية، المدنية والسياسية، القضائية والتشريعية، قُلۡ ﴿

(١) فيض القدير، مرجع سابق،١٤/١ .

(٢) عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي للدكتور. عبد المجيد السوسوه، ضمن كتب الأمة (٦٢) ذو القعدة، ١٤١٢هـ، صـ١٢.

إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]،يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ [البقرة: ٢٠٨].

وإذا كان الدين الإسلامي ـ مع شموله لكل مجالات الحياة ـ نصوصه محدودة محصورة، والأمور الحياتية، والمستجدات فيها غير محدودة ولا محصورة، كان لابد من تجديد واجتهاد في إنزال النصوص الشرعية الكلية، علي الحوادث الجزئية التفصيلية.

يقول الإمام الشاطبي " فلأنَّ الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة؛ ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بُد من حدوث وقائع لا تكون منصوصاً على حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضا إتباع للهوي، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً، وهو مؤدٍ إلي تكليف مالا يطاق ؛ فإذن لابد من الاجتهاد في كل زمان ومكان، لأن الوقائع لا تختص بزمان دون زمان" .(١)

ويقول الإمام الشهرستاني: " وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أنَّ الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد، ونعلم قطعاً أنَّه لم يرد في كل حادثة نص أولا يتصور ذلك أيضاً، والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير

(١) الموافقات ٤/١٠٤.

متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى، علم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد"[1].

فالتجديد هو السبيل الوحيد لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته وأصوله، إلى الميادين الجديدة، والأمور المستحدثة، ولضمان لبقاء الأصول صالحةً دائمةً لكل زمان ومكان .. ولولا مده الفروع الجديدة إلى الجديد من المحدثات، وإقامة الخيوط الجديدة بين الأصول الثابتة وبين الجديد الذي يطرحه تطور الحياة، ولولا تجديده الدائم الذي يجلو الوجه الحقيقي النقي لأصول الدين وثوابته ... لولا دور التجديد هذا في حياة الإسلام ومسيرته، لنُسخت وطُمست هذه الأصول، إمَّا بتجاوز الحياة الممتدة لظل الفروع الأولى والقديمة، فيعرى هذا الامتداد الجديد من ظلال الإسلام ... أو بتشويه البدع، عندما تتراكم لجوهر هذه الأصول "[2].

٣ـ قابلية النصوص الشرعية للفهم المتجدد:

فالنصوص الإسلامية، التي هي خطاب الشارع عز وجل في القرآن الكريم، وكذلك السنة النبوية المطهرة، ليست نصوصاً جامدةً متحجرةً، ولكنها نصوص غالبها مرن، يحتمل فهماً متجدداً، وهذا سر صلاح الشريعة لكل زمان ومكان.

فالشريعة الإسلامية " ثابتة في أصولها، قابلة للتجديد في فروعها، قادرة على استيعاب المتغيرات، لا تضيق بتعدد الآراء والخلافات، بل تطوع هذه الخلافات

(١) الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩/١.

(٢) د. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد والحداثة، ص١٥.

لمصلحة الفرد والمجتمع"[1].

" فالنصوص القرآنية، والأحاديث الثابتة، تقبلان التفسير والتأويل، وليس من حق أي جيل أن يختص بهذا التفسير والتأويل، مُدَّعياً في ذلك حقاً خالصاً، يمارسه دون غيره، فالأجيال المتلاحقة، سواءٌ في حقها المشروع في التفسير والرأي"[2] .

وإذا كانت النصوص في ذاتها تقبل التفاوت في الفهم، ويختلف فهمها من جيل إلى جيل، كان ذلك في حد ذاته، دعوة للتجديد والاجتهاد، الاجتهاد في تفهم معانيها واستخلاص أحكامها، والتجديد في إنزال هذه الأحكام على مستجدات الواقع.

ولا يخفي على أحد أنَّ النصوص الشرعية التي تقبل الفهم المتجدد ـ بل وربما المتناقض ـ إنما هي النصوص المرنة التي تتعلق بالفرعيات والأحكام الجزئية، أما الأمور الثابتة، فلا تقبل تعدد الأفهام، واختلاف التأويلات، مهما كانت المبررات.

---

(١) د. خالد شعيب، ضرورة التجديد وضوابطه، ضمن أعمال مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٢) د. فاروق النبهان، منهج التجديد في الفكر الإسلامي، ضمن أبحاث ندوة تجديد الفكر الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، ص٥٢.

المبحث الثالث

مشروعية تجديد الدين وضوابطه

المطلب الأول: مشروعية تجديد الدين

يستمد التجديد في الإسلام مشروعيته بشكل مباشر من حديث النبي ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا " (١).

والحديث وإن كان وروده على سبيل البشارة والإشارة إلى " ما من الله تعالى على أهل الإسلام من الأئمة الهداة للأنام، ومن سائر العلماء والأعلام، والصالحين الكرام، وممن يجعل الله تعالى فيهم من الأسرار، ويُجدد لهم من الآثار، ويُوضِّح لهم من المشكلات، ويُبيِّن لهم من الدلالات، ويرد بعلومهم من الجهالات، ويُؤيِّد بهم من الكرامات، وصادق المبشرات، من رؤيا الحق الواردة في محكم الآيات، وصحيح الروايات "(٢).

إلا أنَّ هذا الحديث نصٌ صريحٌ، وأصلٌ دامغٌ على مشروعية تجديد الدين، بالمعنى الذي أوردناه للتجديد، كذلك فإنَّه دليلٌ على جواز إطلاق هذا اللفظ واستعماله.

فهذا الحديث الشريف، هو المنبع الأساسي، والمعين الأول، للفظة " التجديد " التي يضيق بعض العلماء من استخدامها خشية أن تختلط بغيرها، أو أن يُفهم منها غير ما أريد بها، حتى إنَّ بعضهم يُخطأ من يستخدمها، وآخرون يضعون لفظ التجديد حيث الإضاعة والتبديد.

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) ابن الوزير، ايثار الحق على الخلق، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٩٨٧م، ١/٧٧-٧٨.

والحديث الذي معنا حجة على من ينكر تجديد الدين، وحجة على من يتنكر لـه، والأولى هو التسليم لحديث النبي ﷺ، واستخدام لفظه، مع توضـيح مـراده، وبيـان حدود هذا التجديد وضوابطه، بدل إهماله وتنحيته.

مشروعية الاجتهاد دليل على مشروعية التجديد:

ثم إنَّ الاجتهاد الذي هو أساس من أسس فهم الدين، والذي يتطلب إعمال العقل، بالإضافة إلى بعض المؤهلات التي يحتاجها المجتهد، حتى تكتمل لديه أهلية الاجتهاد، فيستطيع أن يتفهم أحكام الدين، ويستنبط منها أحكام المستجدات، كما في قوله تعالي: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٨٣]. هذا الاجتهاد شرعه الإسلام وحث عليه، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم القائم بعملية الاجتهاد.

فقد روى الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال له :

" كَيْفَ تَقْضِي؟ فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللهِّ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللهِّ؟ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ ؟قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي. قَالَ الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِّ ﷺ "[1] .

فمشروعية الاجتهـاد في حـد ذاتهـا دليـل عـلى مشرـوعية التجديـد، وإن كـان التجديد في حد ذاته يخالف الاجتهاد، من حيث إنَّ الاجتهاد ينصـب عـلى اسـتنباط الأحكام الفرعية الجزئية من الأصول الكلية، والتجديد مهتم بأصل الدين والـذب عنه، إلَّا أنَّ قاعدتهما واحدة، فمنشأهما إعمال العقل في تفهم الشرـع، ضـمن الأطـر

(١) سنن الترمذي، كتاب الأحكام عن رسول الله، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، رقم (١٣٢٧).

والحدود التي وضعها العلماء لذلك.

وإذا كان الاجتهاد الذي قد يأتي بأحكام جديدة، لم يعرفها العلماء من قبل، ولم ينص عليها الإسلام صراحة، تبعاً لمستجدات الحوادث، قد فرغ العلماء من إثبات مشروعيته، فإن مشروعية التجديد الذي هو الإبقاء على الأصل كما كان عليه في عهد النبي ﷺ والراشدين آكد وأولى.

المطلب الثاني

ضوابط التجديد

الفارق بين التجديد والتبديد، كالفارق بين الحق والباطل، والفضيلة والرزيلة، فكما أن الحق مضبوط بضوابط معينة، إذا تعداها فإنَّه يعد باطلاً، وكذلك الفضيلة لها ضوابطها التي ما إن تعدوها إلا ودخلت في باب الرذيلة وكما قال أرسطو في السابق:" الفضيلة وسطٌ بين رذيلتين ".

كذلك فإنَّ التجديد وسطٌ بين التبديد والجمود، وما يفرقه عنهما أنَّه محكومٌ بضوابط، لا يتعداها ولا يحيد عنها، وهذه الضوابط وإن كانت غير منصوص عليها، إلا أنَّها مُستنبطةٌ من قواعد الدين وأسسه، فالتجديد يسير مع الدين حيث سار.

ومن أهم هذه الضوابط:

أولا : ألا يؤدي التجديد إلى التصادم مع النصوص الشرعية، أو الإخلال بها .

والقاعدة في هذا: أنَّ ما جاء فيه نص فقد قضي فيه النص، وخرج عن اختصاص البشر، ولا مجال للاجتهاد أو التجديد فيه.

قال ابن حزم: " إذا ورد النص في القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما على حكم ما

.... فصح أنه لا معنى لتبدُّل الزمان، ولا لتبدُّل المكان، ولا لتغيُّر الأحوال، وأنَّ ما ثبت فهو ثابتٌ أبداً، في كل زمان، وفي كل مكان، وفي كل حال، حتى يأتي نصٌ ينقله عن حكمه في زمانٍ آخر، أو مكانٍ آخر، أو حالٍ أخرى "[1]

فالتجديد في الإسلام محكوم بالشرع، من خلال النصوص الواردة في الكتاب والسنة، لا يحيد عنها ولا يتعداها، فليس ثمة اجتهاد أو تجديد في أمر ورد به نص حاكم فيه، إذا كان هذا النص قطعي الدلالة قطعي الورود، " لأنَّه ما دام قطعي الورود، فليس ثبوته وصدوره عن الله أو رسوله، موضع بحث وبذل جهد، وما دام قطعي الدلالة فليست دلالته على معناه، موضع بحث وتجديد"[2] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[الحجرات : ١]، أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يُفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه، وفي قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢]، قال: فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟! أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم ".

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ

(١) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق : أحمد شاكر، القاهرة، مطبعة العاصمة، ٥/٥٩٠ – ٥٦٣.

(٢) يراجع: الشيخ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، سابق، ص٢١٦.

عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢]. فإذا جعل لوازم الإيمان أنَّهم لم يذهبوا مذهباً إذا كانوا معه إلَّا بعد استئذانه، فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قولٍ ولا مذهب علمي إلَّا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه"[1].

فليس من التجديد استحداث صورٍ جديدة، لأشياء حرمها الشرع مثلاً، كإنشاء البنوك الربويَّة، وإضافة بعض المواد إلى الخمور حتى تخرج للناس في صورة عصريَّة، وباسم معاصر، وفي الحديث "لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا"[2]، ولا يُسمَّى تجديداً، أن تنقل صلاة الجمعة إلى يوم الأحد في الدول الغربية حتى تتوافق مع العطلة الرسمية فيتمكن المسلمون من الصلاة، وليس من التجديد أن تُقصى الشريعة الإسلامية عن النظم الاقتصادية والسياسة والاجتماعية ، تحت حجة اختلاف العصور.

وتبقى دائرة التجديد واسعة في باب النصوص الظنية، سواء كانت ظنية الدلالة، أم ظنية الورود.

أما الأمور التي لم يرد فيها نصٌ أصلاً، فإن دائرة التجديد تمتد داخلها فلا يحدها حد، ولا يحكمها ضابط، مادامت أنها لا تخرج عنها، ولا ينتهي فيها التجديد إلى ما يخالف نصاً شرعياً أو يصطدم بقاعدة شرعية.

---

(١) إعلام الموقعين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣م، ١/٥١ – ٥٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب في الداوي، رقم (٣٦٨٩)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم (٤٠٢٠)، وصححه الألباني.

ثانيا: الاستمداد من مصادر الإسلام، وعدم الابتداع في الدين:

لا يليق بالتجديد في الإسلام، أن يخرج أو يتعدى المصادر الأصلية، والمنابع الصافية للإسلام، فهذا أساس بناء التجديد؛ حتى يستحق أن يُوصف هذا التجديد بأنَّه إسلامي، أما أن ينقلب على هذه المصادر، ويعتمد على مذهب فكري أو عقدي مخالف، فهذا ليس تجديداً.

فالتجديد الإسلامي، لابد أن ينبع من داخل الأمة ولصالح الأمة، لا يتأثر بالطارئ الوافد، مادام أن الأمة ليست في حاجة إليه، ولا يخدم متطلباتها. " فالإسلام يرفض التطور على حساب الأصالة، ويرفض التقدم على حساب التفريط في الجذور والقيم الإسلامية، كما يرفض تضحية القيم العليا في سبيل التقدم المادي، والإسلام لم يخضع مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم؛ ذلك أنه ليس في المناهج والدعوات والأيديولوجيات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين في ميراثهم وتراثهم نظيره وخير منه، وهو في الغرب مقطوع الصلة بالله، ولكنه في الإسلام متصل الحلقات، هو في الغرب انشطاري، ولكنَّه في الإسلام جامعٌ متكامل"[1].

فنقل الفكر الغربي والنظريات الغربية وتطبيقها في بيئتنا، وتحكيمها على عقيدتنا وتراثنا، ليس من التجديد الذي يرضاه الإسلام ويتقبله، ومن هذا النوع نقل القوانين الغربية في مقابل إلغاء الشريعة الإسلامية، فمثل هذا العمل نوع من التبديد والتغيير لا يمت للتجديد بصلة.

على أنَّ هذا لا يعني عدم الاقتباس من الغرب مطلقاً، لكنَّ ضابط الاقتباس هو عدم مخالفة المقتَبس للأصول الإسلامية، وحاجة الأمة إلى ذلك النوع من الاقتباس،

---

(١) أنور وجدي، عقيدة الكاتب المسلم، القاهرة، دار الاعتصام، ص٩.

ثم ضرورة أن يُصبغ هذا الاقتباس بالصبغة الإسلامية، ويتحلى بروح الأمة، حتى يصير وكأنه نابع أساساً من داخلها.

وإذا كانت الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، فإن الاقتباس والنظر في الفكر الغربي ، مُبررٌ إذا دخل في نطاق الحكمة والأمر المفيد، أمَّا اقتباس وتقليد منشؤه ولع المغلوب بتقليد الغالب فهذا مما ينافي أساس التجديد.

وإذن فالتجديد الإسلامي مُتولد من المصادر الإسلامية، أو له أصل فيها، إذ أن المقصود من التجديد حفظ الشريعة الإسلامية، فلا يكون سبباً في استبعادها أو استعدائها. باختصار نريد تجديداً يحل مشاكل الأمة من داخل شريعتها أو ما تسمح به الشريعة لا ما عدا ذلك.

وهنا ملاحظة من الحسن إثباتها، وهي أنَّ شرط الاستمداد والاعتماد على المصادر الإسلامية للإسلام، لا يعني بحال من الأحوال ضرورة التقييد بفهم السلف الصالح لهذين المصدرين، الكتاب والسنة، وما استنبطوه منهما، فالقداسة باقية للنص فقط لا لأقوال الرجال فيه مهما بلغوا ما بلغوا.

فالتراث الإسلامي، والفكر الإسلامي القديم، هذه الثروة الطائلة التي خلفها عباقرة المسلمين على مر الأجيال، ليست أمراً مُقدساً لا يجوز أن نخرج عنه أو نخالفه، وإنَّما يؤخذ منه ويُرد عليه ويبقى الحاكم والمقدَّس هو الوحي المنزل قرآناً وسنةً، وما عداهما مرشد يستفاد منه ويعين على تفهم الوحي الأقدس.

ثالثا: أن يتناسب مع روح العصر وحاجاته:

فالحياة في تطور مستمر، والعالم في تغير متتابع، يشمل ذلك الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مما يؤثر ذلك بالضرورة على واقع الناس وأحوالهم، ولا

شك أن الحاجيات تختلف باختلاف العصور والأزمان، والتغيرات الطارئة على كل مكان.

وإذا كان من أهم أهداف التجديد ومقاصده، تلبية حاجات الناس، فلا يجوز أن يكون هناك فاصل بين التجديد والحاجة، ولا يفصِم المجدِّد بين تجديده والواقع؛ بل لابد أن تكون الانطلاقة التجديدية نفسها مبدوءة من أرض الواقع، ومن دنيا الناس التي يعيشون فيها اليوم، لا تعالج مشاكل الأسلاف، وتناقش أحوالهم.

ولقد فقه علماؤنا في السابق أن لكل زمان قضاياه التي تشغله، وهمومه التي تحتويه، وأعرافه التي ينتصر لها؛ لذا جعلوا اختلاف الزمان مبرراً لاختلاف الفتاوى والأقضية.

فالإمام ابن القيم يذكر في كتابه القيم إعلام الموقعين "فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد"، يقول: "هذا فصلٌ عظيم النفع جداً، وقد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه، ما يعلم أنَّ الشريعة الباهرة التي هي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإنَّ الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل"[1].

"ومن أفتى الناس بمجرد النقول من الكتب على اختلاف أعرافهم وعوائدهم

---

(١) مرجع سابق، ٣/٣ .

وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم؛ فقد ضلَّ وأضلَّ، وكان جان على الدين"[1].

وفي معنى كلامه يقول ابن عابدين: "إنَّ جمود المفتي أو القاضي على ظاهر المنقول وترك العرف والقرائن الواضحة والجهل بأحوال الناس؛ يلزم منه تضييع حقوق كثيرة وظلم خلق كثيرين"[2].

والإمام شهاب الدين القرافي يؤكد على أنَّ التجديد لا يعرف الجمود والتوقف مع الزمان أو المكان، وإنما يدور معهما حيث دارا فيقول: "فمهما تجدد العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك، لا تُجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه وافته به، دون عرف بلدك والمقرر في كتبك. فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضيين"[3]

ولقد فقه علماؤنا هذا الأمر من قديم الزمن، حتى رأينا إماماً كالإمام الشافعي يغيِّر من مذهبه، تبعاً لاختلاف حاجات الناس وأحوالهم وعوائدهم، وذلك بعد أن انتقل من بغداد إلى مصر، حتى سمى مذهبه في مصر ـ المذهب الجديد، ومذهبه في العراق المذهب القديم.

فالتجديد عموماً لابد أن ينبع من معرفة بالواقع، وإدراك لحاجياته، وتفهم لمشكلاته، والنظر فيما يفسده ولا يضره، ويتقدم به ولا يؤخره، ويكون عوناً لنهضته

---

(١) يراجع: ابن القيم، المرجع السابق، ٣/٧٨.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين، رسالة عقود رسم المفتي، ١/٤٧.

(٣) القرافي، الفروق، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ١/٣٢١.

وازدهاره لا وبالاً عليه، وذلك بأيسر الوسائل، وأضمن الطرق.

ولا يعني هذا أن يقع التجديد تحت ضغط الواقع، ويضطر أن يجاريه، ويبرر أخطاءه وما فيه من أعراف خاطئة وقيم يبذها الإسلام ويرفضها، فليست وظيفة التجديد هي التبرير والبحث عن مخرج لهذا الواقع، من خلال لي عنق النص أو تحقيق المصلحة، وإنَّما وظيفة التجديد الحق، هي إخراج الناس من هذا الواقع الأليم، وبث روح جديدة في هذه الأمة؛ تكون سبباً في عودتهم إلى دينهم، وتحكيمه على واقعهم ودنياهم.

المبحث الرابع

أفاق التجديد ومجالاته في واقعنا المعاصر

إنَّ أولى العصور التي تحتاج إلى التجديد هو هذا العصر الذي نعيش فيه؛ فالمسلمون اليوم في سقط في دينهم، وآخرة في دنياهم؛ فلا هم فشلوا في الدنيا فاعتصموا بالدين، ولاهم هجروا الدين وفازوا بالدنيا، وإنَّما استمسكوا بالخسارتين.

إنَّ الحل الحقيقي لهذا العصر يكمن في تجديد شامل له، يشمل الدين والدنيا معاً، يشمل الدين بعقائده وعباداته، وتشريعاته ومعاملاته، ويشمل الدنيا بسياستها واقتصادها وعلومها وتكنولوجياتها .... تجديد يضمن للأمة أن تعود إلى حلبة السباق بين الأمم، يأخذها من الساقة إلى المقدمة كما كانت عليه في السابق يوم كان الدين جديداً نضراً... تجديد يميز الأمة عن غيرها، يعرف للفرد كيانه، ويحفظ للأمة عزها ومجدها... تجديد يعيد النشاط والحيوية للأمة، ويعيد للإسلام دوره ووسطيته.

وإذ رحنا نتحدث عن هذا التجديد بشكل مفصل، فإنَّ هذا البحث لا يستوعبه من جهة ولا نحن نطيق التصدي للكتابة فيه من جهة أخرى، لذا سأكتفي بالإشارة هنا إلى آفاق تجديد الدين بشكل عام ثم مناقشة بعض المجالات التي تشتد الحاجة إلى تجديدها في هذا العصر وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

آفاق تجديد الدين

إذا كان الدين الإسلامي قد تميز من بين الأديان بعمومه وشموله، وإذا كان معنى التجديد الصحيح والمقصود من هذا البحث لا يعدو أن يكون تجلية وعودة بالدين إلى الحالة التي كان عليها مع بعث النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن التجديد بهذا المعنى يتناول الدين بكليته: عقيدته وشريعته، وأخلاقه ومعاملاته.

هذا التجديد بالطبع يهدف إلى تجلية الثوابت وتنقيتها من الشوائب والملابسات التي أصابتها مع تقلبات الأزمان واختلاف الفهوم وتدخلات الأهواء، وفي ذات الوقت هادف إلى تطوير وتعديل في الوسائل والمتغيرات.

وليس من ثمة اختلاف عند مفكري الإسلام أن هذا الدين يتناسب مع كل العصور والأمصار، صالح لكل زمان ومكان، ومن ثم فهو ليس بحاجة إلى إعادة تأويل أو حذف أو تغيير، كما يذهب دعاة العصرانية[1] في الوقت الحالي. فقط بحاجة إلى إعمال الفكر فيه لاستنباط أحكامه وتشريعاته التي تتناسب مع كل زمان ومكان كما في قول الله عز وجل : {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}[النساء:٨٣] والمراد بأولي الأمر في الآية : أي العلماء الراسخون الذين يحسنون استنباط الأحكام الشرعية من أدلة

---

(١) العصرانية في الدين : هي أي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة؛ فالعصرانية هي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادئ الدين لتتلائم مع قيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شئون الحياة. (يراجع: د. بسطامي سعيد، مفهوم تجديد الدين، مرجع سابق، ص٩٨) .

الكتاب والسنة، لأن النصوص الصريحة لا تفي ببيان جميع المسائل الحادثة والأحكام النازلة، ولا يحسن استنباط ذلك واستخراجه من النصوص إلا العلماء الراسخون .

قال أبو العالية في معنى {أُولِي الْأَمْرِ } في الآية : هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } . وعن قتادة {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ } يقول : إلى علمائهم، {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } : لَعَلِمه الذين يفحصون عنه ويهمهم ذلك . وعن ابن جريج : {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ } حتى يكون هو الذي يخبرهم، {وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ} أولي الفقه في الدين والعقل[1] . وهذا هو العمل الأساسي والمقبول للمجددين والمجتهدين.

وبالتالي فإن تجديد الدين في أصله يقوم على ركيزتين ثابتتين، وهما: العمل على فهم ثوابت الدين والمنطلقة أساسا من مصدريه الرئيسيين القرآن والسنة، إضافة إلى إجماع الأمة كمصدر مكمل[2]، ثم تجلية هذه الثوابت سواء بالشرح أو التنقيب عن أسرارها وحكمها، والعمل على تنزيلها وتحكيمها في الأمة، ومحاولة رد الأمة إليها من غير زيادة عليها أو نقصان منها.

فعمل المجدد ينحصر في الأساس على فهم النصوص وتنزيلها على الواقع، وحث الأمة على اتباعها وفقا للقواعد المقررة.

---

(١) تفسير الطبري، ٥٧٢/٨.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة" (مجموع الفتاوى، ١٦٤/٢٠).

غير أن ذلك لا يعني إهمال دور العقل في استنباط الجديد من معنى النص، وكذلك نقض مفهوم سابق قد استنبطه العلماء في وقت مغاير وظرف مخالف. بل إن الحق في هذا هو ما ذهب إليه الإمام النووي حين قال: "ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه الأئمة، وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛ لأنه على أحد المذهبين: كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد، والمخطئ غير متعين لنا، والإثم مرفوع عنه، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسُنَّة أو وقوع في خلاف آخر"[1].

وبالتالي، فإن آفاق تجديد الدين يمكن حصرها في النقاط التالية:

١- الحفاظ على نصوص الدين صحيحة نقية:

فتجديد الدين – كما مر- لا يعني هدما أو تغييرا أو تبديلا، وإنما هو في المقام الأول تجلية وتنقية مما طرأ عليه، وحفاظا عليه وحفظا له، وإذا كان الدين محفوظا بحفظ الله له كما في قوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[الحجر:٩]. " إلا أن ذلك إنما يتم ويتحقق بهمم العلماء الربانيين وجهودهم وتضحياتهم؛ وهذا ما حدث بالفعل، فقد حظي القرآن الكريم بعناية بالغة من المسلمين، كتابة في السطور، وحفظا في الصدور، وجمع مرتين: مرة في عهد أبي بكر الصديق، ومرة في عهد عثمان رضي الله عنهما، ولا زالت العناية به على مر الأزمان في أعلى المراتب.

---

(١) الإمام النووي، شرح صحيح مسلم ٢٣/٢.

وأما السنة فقد تتابع الصحابة على نقلها بدقة وأمانة، وتبعهم في ذلك التابعون وتابعوهم، وبذلوا جهودا ضخمة في جمع كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، ونظرا لظهور الوضاعين وأهل الأهواء الذين افتروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، فقد اشترط نقلة السنة المعرفة بالإسناد، وقالوا الإسناد من الدين... وبه حفظ الله هذا الدين من عبث العابثين"[1] .

٢- نقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها

فالنصوص في كثير منها حمالة لأوجه كثيرة، بل ربما تفهم علة نحو مناقض أساسا لمعناها المقصود منها، وهنا تظهر مهمة المجدد في توضيح المعنى المراد وإبرازه" لأنه إذا تركت النصوص لأفهام الناس وعقولهم، فلا يبعد أن تتعدد أشكال الدين، نظرا لاختلاف العقول والأفهام، وتأثرها بعوامل الزمان والمكان والبيئة والثقافة، والأهواء والنزعات"[2].

وإذا استطاع المجدد إيضاح المعنى المراد، زال عنه اللبس، وهو إعانة في في الحفاظ على النص ذاته.

٣- الاجتهاد في الأمور المستجدة وإيجاد الحلول لها

مع التطورات والتغيرات الحادثة والمستجدة، فإن دور المجدد وصل المجتمع بالنصوص الإسلامية من خلال توضيح حكم الشرع الحنيف في كل ما يستجد، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال اجتهاد يقوم به المجدد لفهم النص واستنباط

---

(١) د. عدنان محمد إمامه، التجديد في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص٣٨.

(٢) د.مروان القيسي، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، الأولى، عمان، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٥م، ص١٠٨.

الحكم الشرعي المناسب منه، سواء قام بذلك بنفسه أو بالرجوع إلى أهل الفن والدراية.

٤- تصحيح الانحرافات عن الدين داخل المجتمع

والواقع أن الانحراف عن الدين على شكلين:

الشكل الأول: انحراف في المفاهيم والقيم

الشكل الثاني: انحراف في السلوك والعمل

ويعني الانحراف الأول، نشوء اعتقادت وتصورات عن الدين على خلاف الحق الذي أنزله الله وأراده.

أما الانحراف الثاني: فيعني بقاء الاعتقاد صحيحا، لكن السلوك والعمل يخالف الاعتقاد والتصور[١].

ومهمة المجدد هنا العمل على تصويب سير اتجاه المجتمع، سواء في تصحيح الفهم والتصورات، أم بتصحيح اتجاه السير والسلوك.

(١) د. عدنان محمد إمامه، التجديد في الفكر الإسلامي، ص٤٠.

المطلب الثاني

نماذج من مجالات تجديد الدين في الواقع المعاصر

الفرع الأول

التجديد في مجال العقيدة

مصطلح العقيدة:

لفظ "العقيدة" مشتقٌ لغوياً من الفعل "عَقَد" أي ربط وأحكم الوثاق والمصدر "العَقْد"، ومعناه: الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق، ويستعمل ذلك في الأشياء المادية كعقد الحبل كما يستعمل في الأمور المعنوية كعقد البيع وعقد النكاح[1].

فالعقيدة: هي الحُكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده[2]، والمعتقد متيقن من صدق تصوراته وانطباقها على الواقع، انطباقاً لا يدع مجالاً للظن أو الشك. وبهذا تتميز العقائد عن المعارف النظرية. فبرغم تشابه العقيدة والنظرية من حيث البنية المعرفية، تختلف الأولى عن الثانية من حيث درجة القطع واليقين في صدق التصورات المعرفية[3] .

ويعتبر هذا اللفظ – العقيدة – ومع انتشاره وذيوعه، إلا أنَّه من الألفاظ المستحدثة التي لم ترد في القرآن الكريم ولا السنة النبوية المطهرة، وإنما هو لفظٌ

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٦/٣، الفيومي، المصباح المنير، ٤٢١/٢.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، ص٦٤٤.

(٣) لؤي صافي، العقيدة والسياسة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأولى، ١٩٩٦م، ص٥١ – ٥٢.

مرادفٌ للفظ الإيمان.

والإيمان أو العقيدة: "مجموعة من الأفكار والمبادئ، يؤمن صاحبها بأنَّها التفسير الحق والصحيح للكون والحياة والإنسان، وتنبثق جميعا من فكرة واحدة، تصلح كأساس لمنهج الحياة أو الشريعة كاملة"(١).

أهميَّة العقيدة للإنسان:

العقيدة هي أم القضايا التي من أجلها يعيش الإنسان، أي إنسان، فلا نكاد نجد إنساناً عاقلاً يستطيع أن يعيش حياة هادئة من غير أن يكون له معتقد أو تصور للوجود، وتصور للنهاية. وكلما اقترب الإنسان من العقيدة الحقه، كلما عظمت نفسه، وهدأ باله واستطاع أن يقاوم عقبات الحياة ومشاكلها.

وكما يقول العقَّاد: "في الطبع الإنساني جوعٌ إلى الاعتقاد، كجوع المعدة إلى الطعام. ولنا أن نقول: إنَّ "الروح" تجوع كما يجوع الجسد، وإنَّ طلب الروح لطعامها، كطلب الجسد لطعامه، لا يتوقف على وجوده الغذاء، ولا على حلاوة المذاق، بل يتوقف على شعور الغريزة بالحاجة إليه... وحق لا يقبل المراء أنَّ الإنسان يجب أن يؤمن، ولا يستقر في وسط هذه العوالم بغير إيمان"(٢).

فالبشريَّة لم تكن لتعيش يوماً واحداً بلا دين تدين به أو عقيدة تعتقدها، حقاً كانت هذه العقيدة أم باطلة، سماوية ربانية أم أرضية وضعية، يؤكد هذا الأمر المؤرخ الإغريقي بازماك فيقول: " قد وجدت في التاريخ مدناً بلا حصون ولا قصور ولا سدود ولا قناطر، ولكن لم توجد مدنٌ بلا معابد".

---

(١) د. فاروق أحمد دسوقي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٥.

(٢) العقاد، كتاب "الله"، ضمن موسوعة العقاد الإسلامية، الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٦/١.

وإذا كانت هذه هي حال العقيدة بشكل عام، فإنَّ العقيدة الإسلامية على الخصوص لها أهمية حيوية في نفس الفرد من جهة، وفي نفس المجتمع من جهة أخرى، فهي بمثابة الروح التي بها يحيا الفرد وتنهض الأمة، وفي التاريخ الإسلامي أنَّ الأمة الإسلامية لم تصل إلى مجدها وعزتها إلا بتمسكها بعقيدتها، وما كان سبب ذلها وانهيارها إلا نتيجة بعدها عن عقيدتها، ولم تفلح معها أي وسيلة خلا العقيدة.

وكما قال عمر ﷺ في السابق" إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله".

النبي ﷺ يجدد عقيدة الأنبياء:

كانت الرسل تعرض على الناس العقيدة، عرضاً كله السهولة والبساطة والمنطق، فتلفت أنظارهم إلى ملكوت السماوات والأرض. وتوقظ عقولهم إلى التفكير في آيات الله، وتنبه فطرهم إلى ما غرس فيها من شعور بالتدين، وإحساس بعالم وراء هذا العالم المادي.

"وعلى هذا السنن مضى رسول الله ﷺ يغرس هذه العقيدة في نفوس أمته لافتاً الأنظار وموجهاً الأفكار، وموقظاً العقول، ومنبهاً الفطر، ومتعهداً هذا الغراس بالتربية والتنمية؛ حتى بلغ الغاية من النجاح، واستطاع أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد، ويملأ قلوبها بالإيمان واليقين. كما استطاع أن يجعل من أصحابه قادة في الإصلاح وأئمة في الخير، وأن يخلق جيلاً يعتز بالإيمان، ويعتصم بالحق، فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا والعافية للناس" (١)

يقول ابن تيمية: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا ﷺ إلى الخلق، وقد

(١) الشيخ سيد سابق، العقيدة الإسلامية، العاشرة، القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، ٢٠٠٠م، صـ١٥.

مقت أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب[1] ماتوا – أو أكثرهم – قبل مبعثه، والناس إذ ذاك أحد رجلين: إمَّا كتابي معتصم بكتاب إمَّا مبدل وإمَّا منسوخ، أو بدين دارس بعضه مجهول، وبعضه متروك ، وإمَّا أمي من عربي وعجمي مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنَّه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك، والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علماً وهي جهل وأعمال يحسبونها صلاحاً وهي فساد.

فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد ﷺ، وبما جاء من البينات والهدى، هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته من العلم النافع والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علماً وعملاً الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتتا تفاوتا يمنع معرفة قدر النسبة بينها [2].

وكان هذا المنهج – اليسر والبساطة بعيداً عن الفلسفات والجدليات- هو المنهج السليم والهدي القويم في عرض العقيدة الإسلامية، وقد بقي الصحابة ش في عهد النبي ﷺ وبعد عهده وقتاً ليس باليسير، يستمدون عقيدتهم من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فما ذُكر فيهما واضحاً سهلاً اعتقدوه، وما تشابه عليهم أمضوه.

حتى إذا ظهرت الفرق والاختلافات بين المسلمين، خاضت كل فرقة في المراء

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٢٨٦٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، الثانية، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، صـ٢، ٣.

والجدل، لتثبت أنها على الحق وغيرها على خلافه، ثم لم يلبث هذا المراء إلى أن امتد إلى العقيدة ذاتها وخاضوا فيما لا يجوز الخوض فيه.

حتى صار يعرف علم العقيدة بعلم الكلام نتيجة كثرة الاختلافات والجدال فيه، ولعل المؤثر الأكثر في هذا هو تصاعد حركة الترجمة، وترجمة الفلسفة اليونانية السوفسطائية إلى اللغة العربية على وجه الخصوص، فأخذها المسلمون وأعجبوا بدلائلها وافحاماتها.

تجديد العقيدة في الوقت الحاضر:

العقيدة الإسلامية، ليست فكراً بشرياً، يقبل التغيير والتبديل، ويتطور بتطور المعارف الإنسانية، والاكتشافات الجديدة، وإنَّما هي ثابت لا يقبل التغيير والتحويل، ووحي قدسي لا يقع تحت تأثير عوامل الزمان والمكان ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠]، أمَّا المقصود بتجديد العقيدة هنا، فلا يعدوا أن يكون تجديداً في طريقة عرضها، وتجليتها من الشوائب التي طرأت عليها، وتنقيتها من الجوانب البشرية التي لابستها، ورد شبه المنكرين والجاحدين لها، كل ذلك بالاعتماد على القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتزام فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وإذا كانت العقيدة الإسلامية هي الأساس الأول الذي قام عليه المجتمع الإسلامي، وقد حرص الإسلام على بثها بين المسلمين قبل أن يهتم بأحكام الحلال والحرام. كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ، نَزَلَ الْحَلَالُ

وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا. لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ:﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ ﴾ وَأَمَرُّ[القمر :٤٦]،وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ (الْبَقَرَةِ) و(النِّسَاءِ) إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ "[1]، تعني في المدينة.

" فالعقيدة هي المحرك للإنسان، وهي الضابط لتوجهاته، تملي عليه ما ينبغي له أن يفعل، وما ينبغي عليه أن يذر، وهي التي تجلي له حقائق الأشياء فيراها بذلك المنظار، ويرفض مشاهدتها بمنظار آخر، بغض النظر عن كون الرؤيا أو المعتقد سليمين أو عليلين "[2].

والعقيدة الإسلامية مع ثباتها، ومع حفظ الله عز وجل لها، إلا أنَّها قد أصابها كثير من الشوائب التي علقت بها، سواء كان من إضافة بعض الماكرين، أم بسبب جهل الجاهلين، المهم أنَّها تحتاج إلي كثير من الجهود حتى تعود نقية صافية كما كانت عليه في عهد النبي ﷺ والسلف الصالح .

والحاجة تشتد إلى هذه التصفية والتنقية للعقيدة خصوصاً في هذا العصر الذي " شهد تحولات هائلة في العلوم المختلفة، ترتب عليها تحولات كذلك في العقائد والأفكار حتى وسم القرن التاسع عشر -في أوربا- بعصر الإلحاد، ثم اتسم القرن العشرين بأنه عصر الانفتاح وتقريب المسافات بين الأمم والشعوب، حتى ظهر العالم في آخر هذا القرن وكأنه قرية صغيرة" [3] مما كان له أثر سلبي على العقيدة،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم:(٤٧٠٧) .

(٢) يراجع د. الحسين ابن سعيد، التجديد العقدي عند النورسي، ضمن مؤتمر جهود بديع الزمان النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، ١٩٩٩.

(٣)د. محمد عبد الستار نصار، العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر، ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي،

حيث ظن الناس أنَّ العلم قد حل محل الأديان، وسيحل مشكلات البشرية، وأنَّ الدين ما هو إلا أوهام وأباطيل، يتمسك بها العامة، وأنَّ أصله يعتمد على الأساطير والخرافات .

ومنهج تجديد العقيدة الإسلامية التي نرجوه يتلخص في النقاط الآتية :

١ـ تخليص العقيدة من كل الإضافات البشرية التي ألصقت بها، " وذلك بالاعتماد على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والبعد عن اصطلاحات الجدليين والكلاميين، واعتماد منهج السلف، إذ أنَّهم أصفى الناس فطرة، وأليـنهم قلوباً، وأرقهم إدراكاً للمقاصد وأعرفهم بمواقع الألفاظ، وأعذبهم تذوقاً لدقائق المعاني والمشاعر "[1].

" فالحاجة الآن داعية إلى العودة إلى المنهج القرآني في إثبات قضايا الإيمان، من كبراها إلى صغراها، ونصوص الكتاب والسنة غنية بالوسائل الكفيلة لإشباع الرغبة الإنسانية، لبلوغ مناها، من الفهم الصحيح لحقائق الوجود، والوصول إلى قمة السعادة التي هي ثمرة الإيمان الصحيح الضابط للسلوك "[2].

فمنهج القرآن والسنة النبوية يعتمد على اليسر ـ والسهولة في عرض العقيدة، بعيداً عن التعقيدات والجدليات الفلسفية التي دخلت على العقيدة الإسلامية، الأمر الذي جعل العلماء يطلقون على من يخوض في العقيدة بهذه الكيفية المتكلمون

ص ١١٣٠.

(٢) يراجع د. عصام البشير، التجديد ومفهومه وضوابطه وآفاقه، ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، ص٩٤٨-٩٤٩ .

(٣) ناصر سليمان السابعي، التجديد في عرض علوم العقيدة، ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، ص٩٣٢ .

ويطلقون على علم العقيدة ذاته علم الكلام .

٢ـ الربط بين الناحية النظرية العلمية، والناحية العملية التطبيقية عند عرض العقيدة، بمعنى أنَّ عرض العقيدة ينبغي ألا يتوقف على مجرد العلم بها، بل لابد من بيان أثرها على النفس، ولابد أن يتحول عندها العلم بها إلى عمل " فالمسألة لا تتمثل في تلقين أو إعادة تلقين المسلم عقيدته، ولكنها تتمثل في إعادة تلقينه استخدامها وفاعليتها في الحياة[١]، فمشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي أن نشعره بوجوده، ونملأ نفسه باعتباره مصدراً للطاقة" [٢].

" فارتباط النظرية بالتطبيق، هو ما يميز العقيدة عما سواها من البنى الفكرية الذهنية، فالعقيدة ليست مجموعة من التصورات ذات طبيعة نظرية محضة، منفكة عن الحياة العملية للفرد والمجتمع بل هي منظومة من التصورات الهادفة إلى التأثير في الفعل الإنساني، من خلال مجموعة القيم والمبادئ والأحكام، التي تنبثق من هذه التصورات وترتكز عليها .

فالإيمان باليوم الآخر ليس معرفة نظرية كالتيقن بحركة المجرات، واحتراق النجوم، بل هي معرفة تتعلق مباشرة بمسئولية الإنسان عن أفعاله المكتسبة في زمن وجوده الدنيوي، وتحمله لتبعاتها يوم معاده[٣].

فعلم العقيدة في كتب الأقدمين " علماء الكلام" كما يصفه الشيخ محمد الغزالي: "نظري بحت، ينظم المقدمات ويستخلص النتائج، كما تصنع ذلك الآلات الحاسبة

---

(١) مالك بن نبي، القضايا الكبرى (مشكلة المفهومية)، الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٩١م، ص١٢٢.

(٢) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، الأولى، دمشق، دار الفكر، ص٥٤.

(٣) لؤي صافي، العقيدة والسياسة، الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص٥٣.

في عصرنا هذا، أو الموازين التي تضبط أثقال الأجسام، ثم تسجل الرقم وتقذف به للطالبين... فكأن الطالب يذكر طائفة من الأدلة على الوجود الدائم " واجب الوجود" ولا يستشعر في قرارة نفسه عظمة الخالق المتعال، أو يختلج في بدنه عِرْق من الرغبة أو الرهبة نحو من سوَّاه، وألهمه فجوره وتقواه.

بيد أنَّ الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية[1].

فالعقيدة الإسلامية، وإن كان أساسها العلم، إلا أنَّ العلم يصبح لا قيمة له إذا لم يتحول إلى عمل، ولكي يتحول علم العقيدة إلى عمل حقيقي فلابد أن تتأصل وتستقر في النفس البشرية، كنظرية لها مردود إيجابي . وحين تستقر العقيدة في الضمير البشري، استقراراً حقيقياً، فإنَّه يستحيل عليها أن تبقي ساكنة، يستحيل أن تظل مجرد شعار وجداني في أعماق الضمير .. إنَّها لابد أن تندفع لتحقيق ذاتها في عالم الواقع، ولتمثل حركة إيجابية إبداعية في عالم المنظور، حركة تبدع الحياة كلها وما ينشأ عنها من ألوان وأطياف وتعمير .

وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه و مقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له"[2].

---

(١) الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، الرابعة، القاهرة، دار نهضة مصر، ص٣.

(٢) مجموع الفتاوى،٧/٦٤٤.

٣ـ "اعتماد طريقي المعرفة النقلية والعقلية في العقيدة. فالمعرفة النقلية، مصدرها الوحي بشقيه الكتاب والسنة، والمعرفة العقلية مصدرها الكون بشقيه، الطبيعي والبشري، وذلك وفق قاعدة موافقة صحيح المعقول، ودرء تعارض العقل والنقل"(١).

وإذا تدبرنا في طريقة القرآن الكريم في بناء العقيدة وعرضها، فكثيراً ما نراه يستخدم الطريق العقلي في ذلك، بل إنَّه يستخدم هذا الطريق في إثبات أهم أركان العقيدة فنراه يستخدم دليل التوصل بالموجود لإثبات وجود الخالق، أَفَلَا ﴿ يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية:١٧ – ٢٠]، ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ ﴿٣٥﴾ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٥ – ٣٦]، ويجعل للخبرة العقلية الحكم علي قضية الوحدانية ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا ﴾ خَلَقَ[المؤمنون: ٩١].

فإثبات العقيدة وعرضها بالأساليب العقلية ليس بالأمر البدعي المستحدث؛ بل هو من صميم الدين. والقرآن الكريم في كثير من آياته يجعل التحاكم فيها للعقل السليم واللب المستقيم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [﴾ الرعد: ٤]، ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

ومن الأمور التي تفيدنا في إثبات العقيدة الإسلامية والذب عنها بالطريق

---

(١) د. عصام البشير، التجديد مفهومه وضوابطه وآفاقه، سابق، صـ٩٤٩.

العقلي، التركيز على الإعجاز العلمي [1] في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ [﴾ فصلت:٥٣]، فهذا الإعجاز يعطي المسلم ثقة ويقيناً بدينه، ويفتح باباً لغير المسلم يتعرف منه على الإسلام لِيَسْتَيْقِنَ ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا [﴾ المدثر:٣١].

٤ـ استخدام الوسائل العصرية في بيان العقيدة وترسيخ مبادئها وأركانها ومسائلها في نفوس الناس وعقول الجماهير " فالحياة المعاصرة اليوم هي في أشد الحاجة إلى أن يقوم أهل العلم في مختلف فنونه وفروعه بدورهم البنَّاء في إعادة بناء العقيدة في نفوس الناس، بتطوير ما يوصل إليها من طرائق وسبل تجمع بين الموروث النقلي والمحصول العصري، وباستثمار المستجدات العلمية من وسائل سمعية وبصرية وفنية وإعلامية، وهذا ما يحتِّمه التجديد المعاصر، ويؤكده النظر المصلحي الواقعي، مع وجوب المحافظة على جوهر تلك العقيدة، والإبقاء عليها صافية نقية من التحريف والتشويش، كما نقلت عن صاحب الشرع العزيز، وكما رويت عن النبي المعصوم ﷺ"[2].

يجب أن نستغل كل الوسائل المباحة والمتاحة التي أنتجها العصر الحديث، في نشر العقيدة الإسلامية وتوضيحها، وربط الناس بها، فوسائل العصر الحديث هي

---

(٢) الإعجاز العلمي الذي نقصده، هو الإعجاز العلمي بمعناه الواسع الذي يشمل كل ما عدا الإعجاز البلاغي، فيشمل الناحية النفسية وكيف اقتاد القرآن النفس ويقودها طبق قوانين الفطرة، ويشمل الناحية التشريعية، وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات ويشمل الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن، ثم كشف عنها التنقيب الأثري فيما بعد . ثم يشمل الناحية، ناحية ما فطر الله عليه غير الإنسان من الكائنات في الأرض، وما فطر عليه الأرض وغير الأرض في الكون . يراجع :محمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، دار الكتب الحديثة، ص٥٢٧-٥٢٨ .

(١) د. نور الدين الخادمي، الاجتهاد المقاصدي، كتاب الأمة (٦٦)، ٢/٩٩ – ١٠٠.

الأنسب لأهل العصر الحديث .

وإذا كان الإلحاد يستغل هذه الوسائل، أفضل الاستغلال في إثبات نظرياته التي تهدم العقائد والقيم، ولا يتوانى في إعلان ذلك والدعوة إليه؛ فالأولى أن يُستخدم السلاح نفسه في رد كيده، والعمل على نشر العقيدة والقيم بين المسلمين وغير المسلمين .

إنَّه لا يمكن لأحد أن ينكر فضل الوسائل المعاصرة في التأثير على نفوس الناس، والوصول إلى معظمهم كما أن لها غالب الفضل في التأثير على توجهاتهم وأفكارهم. لذا فإنَّه يصبح من الواجب على دعاة الإسلام أن يهتموا بهذه الوسائل، كوسائل فاعلة في التوصُّل إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وعليهم توظيف تلك الوسائل لإعادة المسلم إلى سالف عقيدته الصحيحة، ودعوة غير المسلم إلى تلك العقيدة.

"فمن الضروري أن تُربط العقيدة بأجهزة الإنترنت والفضائيات، وأن تسجل في سجلات الأجهزة المعلوماتية المختلفة بطرق مرغبة، وأساليب ميسرة، ووسائل معاصرة؛ تكون مساوية أو أفضل من البرامج المختلفة التي استخدم فيها أصحابها أنفس الأساليب وأقوم المسالك، بكيفية جعلت جمهور المتابعين يقدسونها ويسبحون بحمدها، ويضحون بكل ما عندهم في سبيل تحصيلها ومشاهدتها وترديدها والتأثر بها" (١).

٥ـ التركيز على ضرورة استقلال الأمة الإسلامية وتميزها، واستعلائها بإيمانها وشريعتها كُنتُمۡ ﴿ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

---

(١) يراجع: د. نور الدين بن مختار الخادمي، السابق، ٢/١٠٠ – ١٠١.

وهذا الجانب يضمن للمسلم أن يهتم بعقيدته التي هي سبب خيريته، ومن ثم يستمسك بها ولا ينظر إلى العقائد الأخرى نظرة الصغير للكبير، والحقير للعظيم، فتتحول نظرة الهوس والإعجاب إلى نظرة الحذر والإشفاق.

يجب أن نفصل فصلاً تاماً بين العقيدة الإسلامية وما عليه حال المسلمين، فليست حالهم بمنبئة عن عقيدتهم، وإذا أردنا واقعاً محسوساً للعقيدة يضرب به المثل، فليكن عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، والأزمنة الكثيرة المتفرقة في حياة الأمة التي عاشت فيها عزيزة بعقيدتها، معززة بها.

وليعلم المسلم أنَّ سبب تأخر المسلمين وسوء حالهم؛ إنَّما هو في الأساس بعدهم عن عقيدتهم ومنهاج ربهم، فنحن أمة لا ننهض إلا بالدين، ولا يقيمنا غير الدين.

الفرع الثاني

التجديد في مجال الأخلاق وتزكية النفس

دعوة الإسلام في أصلها، إنَّما تهدف إلى صناعة إنسان متميز، هذا التميز يعم الأفكار كما يعم السلوك، يشمل القلب كما يشمل العقل .. وإذا كان هذا هو هدف دعوة الإسلام الرئيس، فإنَّ الطريق الأول الذي يسلكه الإسلام في بناء هذا الكيان الإنساني، هو التركيز على هذه المضغة التي إن صلحت، صلح الإنسان كله، وإذا فسدت هلك الإنسان وضل. كما قال الرسولﷺ: " أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" [1] .

فالحديث " إشارة إلى أنَّ صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه ؛ فإذا كان قلبه سليماً، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع الهوى، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعث إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب إتباع هوى القلب" [2]وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، فإنَّ كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة "[3]

والإسلام يجعل مناط الفلاح والفوز في الآخرة، متوقفا على تزكية النفس

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه١/٢٠ (٥٢)، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/١٢١٩ (١٥٩٩) .

(٢) يراجع ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الأولى، بيروت، دار المعرفة، ص٧٤ .

(٣) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ٣/٥٩.

وإصلاح القلب، والخيبة والخسران على من أغوى نفسه وأفسد قلبه قَدْ ﴿ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن ﴾ دَسَّىٰهَا [الشمس:٩ – ١٠].

ومن هنا كانت بعثة النبي ﷺ وإن كانت متعددة غاياتها، إلا أنَّ إصلاح القلوب يبقى ركيزتها، وتزكية النفوس جوهرها﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

وقد حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه على حسن الخلق، فكان يُنقى العقل والقلب جميعاً، ينظف العقل من أفكاره، ويغسل القلب من أدرانه، وقد لخص سبب دعوته، وغاية رسالته، فقال: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" (١).

"فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين، وثمرة مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين. والأخلاق السيئة، هي السموم القاتلة، والمهلكات الدافعة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين "(٢).

وفي هذا الزمن الذي تعلَّق بالماديات وغفل عن الروحانيات، وارتبط بالشهوات وارتطم الشبهات، هذا الزمن يحتاج إلى تجديد ؛ بل إلى بناء من جديد، فقد تهدم فيه بناء القيم، وعلا بناء سوء الخلق .

إنَّنا في حاجة إلى التركيز على تجديد الصلة بين الناس وبين خالقهم، وتجديد الصلة أيضاً بين الناس بعضهم البعض .. في حاجة إلى صفاء القلب ونقاء المعاملة

(١) مسند أحمد (٨٩٣٩).

(٢) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين،٣/٤٩.

.. في حاجة إلى العودة إلى الخلق الإسلامي الفاضل والروح الإسلامي الطاهر؛ حتى نستطيع أن نتخلص من هذه المادية التي طمست أنوار القلب، وطغت على الخُلُق الفاضل الذي ورثناه عن سلفنا الصالح.

وإحياء الأخلاق وتزكية النفوس مهمة دعاة الإسلام، ولا يتأتى لهم هذا إلا من خلال قدوة صالحة يقدمونها، وأسلوب واضح متناسب يتفاعل مع أحوال الناس وأفكارهم.

هذه القدوة هي الحقيقة التي يفتقدها الناس، ولو سلم للمجتمع قدوة صالحة يصح أن يقتدي به الناس ويجدونه أهلاً لذلك لصلح غالبهم، فالواقع أن الدعاة في واد والناس في غيره -إلا من رحم الله- .

لابدَّ للدعاة أن ينزلوا إلى دنيا الناس، يعيشون مشاكلهم، ويقدمون لها حلولاً عملية مرتبطة بالأخلاق، فلا يكفي الحديث عن حسن الخلق ولا تزكية النفس بالعبادة، كما لا يكفي أن يتعرف الناس على الأخلاق الحميدة وأصناف العبادات من غير تطبيق عملي ومن غير أن يكون لهم قدوة في هذا الشأن .

إنَّنا عندما نعلم أنَّ النبي ﷺ كان خلقه القرآن، فإنَّ هذا لا يعني أن تخلق النبي ﷺ بالخلق الفاضل الكامل من باب نبوته وعصمته، وإنَّما من باب نشر هذا الخلق والدعوة إليه من خلال القدوة الحسنة ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويبقي على الداعية أمر آخر بعد دعوته بتقديم القدوة الحسنة، هو طريقة دعوته للناس سواء كان ذلك من خلال الإذاعات المسموعة والمرئية، أم من خلال الصحف والمجلات، أم كان ذلك بتأليف الكتب والرسائل .

فلابد من مراعاة عقلية المخاطب وتناسبه مع لغة الخطاب، وأن ينوع في أساليبه الدعوية، فلا يلتزم أسلوب الترغيب أو يقف عند أسلوب الترهيب أو غيرها من الأساليب وإنَّما عليه أولاً أن يراعي حاجات المستمع ونفسيته، وألَّا يوصله إلى الضجر والسآمة، أو الخوف واليأس، وأن يرتكز على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فهما المنبع النقي للأخلاق والتزكية.

وفي الحقيقة أنَّ التجديد في مجال الأخلاق وتزكية النفس يحتاج إلى نفس طويل، وإلى جهود مضنية حتى تصير الأخلاق الحسنة، والنفوس الزكية سمتين بارزتين في حياة المجتمع، لذا فإننا بحاجة إلى مناهج متكاملة في تربية الإنسان؛ تستهدف عقله وقلبه وجسده، حتى تخرج الإنسان المتكامل.

الفرع الثالث

تجديد اللغة العربية:

اللغة العربية تكمن أهميتها في أنَّها لغة القرآن الكريم ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢]، والسنة النبوية المطهرة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ ﴾ لَهُمْ [إبراهيم:٤]، وبعد ذلك فهي لغة التراث الإسلامي. وهذا يعني أن اقترابنا من هذه الثلاثة يتوقف على قربنا وفقهنا للغة العربية التي جاءت بها، وبقدر بعدنا عن اللغة العربية وفقهنا بها يكون البعد عنها .

ولست أعني بالبعد عن اللغة إهمالها واستخدام لغة أخرى بديلة عنها، وإنَّما يكون البعد في استخدام بعضها وإهمال البعض، وكذلك إدخال بعض الألفاظ الوافدة فيها.

ولا يمكن لأمة بحال من الأحوال أن تستعيد مجدها، وأن تنهض نهضتها إلا بالاعتماد على تراثها، تفهمه وتنقده وتجعله بداية لانطلاقها، وركيزة لحضارتها. وإذا كان هذا التراث، مدوناً بلغة غير متناولة، فإن هذا مما يجعل المهمة عسيرة والسعي غير مرجو منه فائدة.

" إن اللغة العربية، ليست مجرد لغة تعبر عن أغراض الناطقين بها، ولكنها لغة ذات طابع عقدي فهي جزء من العقيدة الإسلامية، وهذا الطابع العقائدي هو الذي أبقى على العربية ـ طيلة القرون الماضية ـ دون تغيير كبير في تراكيبها، بحيث نستطيع اعتبارها لغة مقدسة، يُمثل الدفاع عنها دفاعاً عن العقيدة، وهذا وضع تتميز به اللغة العربية وحدها دون سائر اللغات في العالم .

ومن المؤكد أن هذا الوضع ذو دلالة على خصوصية العلاقة بين العربي ولغته، حتى ليُعد التهاون في شأن اللغة إثماً كبيراً من الناحية الدينية، إلى جانب كونه إهداراً لفريضة الانتماء إلى الأمة والوطن"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " إنَّ نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجبٌ. فإنَّ فهم الكتاب والسنة فرض. ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وهذا معنى قول عمر رضي الله عنه : " تعلموا العربية، فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض، فإنها من دينكم"، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ب : "أما بعد، فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن. فإنَّه عربي"[2].

---

(١) د.عبد الصبور شاهين، النهوض باللغة العربية، مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، ص١١٢١-١١٢٢ .

(٢) يراجع: اقتضاء الصراط المستقيم، القاهرة، دار الحديث، صـ١٨٥.

فاللغة العربية إحدى مقومات الأمة الإسلامية، والمساس بها مساس بثوابت الأمة ومقدساتها وتفكيك لوحدتها، وطمس لهويتها.

ولقد تعرضت بالفعل لحملات تشكيك في أهميتها وفاعليتها، وطالب البعض باستبدال حروفها بالحروف اللاتينية، والاستعاضة عن الفصحى باللهجات العامية، وإن نجحت هذه الدعوات على أرض الواقع، إلا أنَّها لم تنجح من الناحية الرسمية(١).

إنَّ اللغة العربية تحتاج منا إلى إعادة الروح إليها، التي تنقلها من هذه العامية الجوفاء إلى فخامة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وعامة التراث الإسلامي، من غير تقعر ولا تشدق.

لابد من عودة إلى اللغة العربية حتى تصبح لغة الكتابة، والخطابة، والأدب والسياسة، لغة التعليم والتعلم، للكبير والصغير، لغة المدرسة والجامعة، والمنزل والسوق ... لغة المجتمع بأسره.

---

(١) يقول جاك بيرك في كتابه عن "العرب": إن اللغة العربية كما نراها في التراث الأدبي، وكما لا تزال تستخدم عند كثيرين ممن يظنون أنهم يكتبون أدبا توشك ألا تنتمي إلى دنيا الناس، فلا تكاد ترى علاقة بينها وبين مجرى الحياة العملية، ولذلك لم يجد المتكلمون بالعربية مفرا من أن يخلقوا – إلى جانب الفصحى – لغات عامية يباشرون بها شؤون حياتهم اليومية، وقد تقول: أليست لغة الصحافة–مثلا– من الفصحى، وهي تعالج شؤون الحياة العملية من سياسة واقتصاد وأحداث وما إلى ذلك، فأجيب بأنَّ هذه فصحى قد اقتربت من العامية لتنجح، وليست من قبيل الفصحى التي نراها في التراث الأدبي.ويتفق مع هذا الرأي د. زكي نجيب محمود، (يراجع: كتاب تجديد الفكر العربي، الثامنة، دار الشروق،ص٢١٦-٢١٧)، ويذهب المشككون في صلاحية اللغة العربية إلى أن اللغة العربية لا تقدر على استيعاب العلوم الحديثة، والحق: أنه " ليس هناك لغة مهما كانت ضعيفة لا تقدر على استيعاب العلوم والتقنيات. وقد أحيى اليهود لغة تورانية قديمة لم يكن أحد يتحدثها، وصارت لغة علمية وتقنية" (يراجع: برهان عليون، حوارات من عصر الحرب الأهلية، ص٢٧٨،عن سعيد بشار المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية، كتاب الأمة (٧٨)، رجب ١٤٢١هـ، ص ١٤١).

"فاعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين، تأثيراً قوياً بيناً. ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق"[1].

فإقصاء اللغة العربية واستبدالها بغيرها سواء كان ذلك في التعليم أم المعاملات، ليس يعني التبعية فحسب، وإنَّما هو نوع من القتل البطيء والاستعمار الحقيقي للمجتمع العربي .

يقول شيخ الإسلام: "وأمَّا اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق، أو الأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه.

ولهذا كان المسلمون المتقدمون، لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية. وأرض العراق وخرسان، ولغة أهلها فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية: عَوَّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم. وهكذا كانت خرسان قديماً. ثم إنَّهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم[2].

إنَّ الدول التي سادت فيها لغات غير لغتها القومية، قد أتيحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لإهمال اللغة الأم، وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة

---

(١) ابن تيمية، السابق، ص١٨٥.

(٢) السابق، ص١٨٤ – ١٨٥.

الثقافية والاستمرارية التاريخية، وربط الأجيال الجديدة بواقعها، مما يؤدي إلى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة، في حالة الاستمرار في تجاهل اللغة القومية، والوقوع في مثل هذا التناقض الغريب ليس نادر الحدوث، فهو شائع على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الدول عندما تتجاهل قيمة ما تملكه بالفعل "[1].

تبدأ عملية إحياء اللغة العربية والنهضة بها، بإصلاح التعليم في المراحل المختلفة بدءً من التعليم الأساسي وحتى التعليم الجامعي، وهذا الأمر يتحمله المدرس والإدارة، فالمدرس دوره في التحدث باللغة العربية السليمة والمساعدة على تفهيمها لتلاميذه بغض النظر عن المادة التي يقوم بتدريسها، والإدارة عليها أن تتابع هذا الأمر جيداً، وأن تهتم بالكتاب المدرسي، كوسيلة حيوية في نشر اللغة، فتبسط قواعد اللغة حتى يتفهمها الطالب، وتربط القاعدة بالتطبيق ربطاً عملياً يمارسه الطالب بنفسه عن طريق مادة التعبير.

وينبغي الاهتمام بالتعليم الجامعي، الذي أضحى يدرس بكل اللغات، عدا العربية، حتى أصبحت الأمة العربية هي الأمة الوحيدة التي يدرس تعليمها بغير لغتها، ولا سيما في الكليَّات العملية .. وإذا كان لابد ـ بسبب تأخرنا عن الغرب ـ أن نستورد هذه العلوم، فليس أقل من أن نحتفظ ببعض كرامتنا وندرسها بلغتنا.

وهذا الدور ـ تعريب التعليم الجامعي ـ يقع علي عاتق مجامع اللغة العربية في البلدان الإسلامية من ناحية، ووزارات التعليم العالي مستعينين بأساتذة الجامعات في شتى التخصصات من ناحية أخرى، ثم تطبيق ذلك عملياً من ناحية الحكومات

(١) د. محمد عاطف كشك، مقال عن تعريب التعليم الجامعي، عن الشيخ محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، القاهرة، دار البشير، ص٧٧.

الإسلامية والعربية.

ومما يساعد على إحياء اللغة العربية ونشرها، الالتزام بها في وسائل الإعلام المختلفة المقروءة منها والمسموعة والمرئية، لذا يجب على العاملين في الإعلام أن يجيدوا اللغة العربية الفصيحة ويلتزموا بها " لتكون أداة ربط بين الشعوب الإسلامية عامة والعربية، بخاصة، إذ أنها تعتبر لغة مشتركة بين الشعوب العربية التي تتكلم في مجتمعاتها لهجاتها الخاصة، وهذه اللهجات تعتبر مسافات فاصلة بين الشعوب، حتى إنَّ بعض الباحثين اعتبر هذه اللهجات لغات مستقلة، وذهب إلى أن اللغات المستخدمة في ألسنة العرب تصل إلى اثنتين وعشرين لغة لا لهجة" [1].

إنَّ جناحي النهوض باللغة العربية الأساسيين، يتمثلان في عمليتي التعليم والإعلام، إذ هما محورا الثقافة والتربية الرئيسيان في المجتمعات، وإذا أردنا صلاحاً للغة العربية فإن المنطلق الرئيس يكون من خلالهما.

(١) د. عبد الصبور شاهين، النهوض باللغة العربية، سابق، صـ١١٢٥-١١٢٦ .

الفرع الرابع

التجديد في الفكر الإسلامي:

مفهوم الفكر الإسلامي:

مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة، وهو يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً.

وكل فكر بشري نتج عن فكر مستقل ولم ينطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة القاطعة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، لا يمكن وصفه بأنَّه فكرٌ إسلاميٌ [1].

وأبرز مميزات الفكر الإسلامي، وسطيته التي أعطته طابع وحدته. ووسطيته مرتبطة بوسطية الأمة من حيث المناخ والمكان والبيئة، فضلاً عما يتسم به من الجمع والمزاوجة بين الدين والدنيا، والمادة والروح، والعقل والضمير، حيث لا يجنح إلى التطرف، ولا يذهب غاية المدى في الجمود والطفرة، ولا في الرخاوة أو العنف.

في تلك المرونة والحيوية، والقدرة على الحركة، والملائمة والالتقاء بالحضارات والثقافات وأفكار الأمم، فيه مرونة الحركة مع ثبات القاعدة، وهذه القاعدة هي مصدر قوته، ومدار حيويته[2].

تجديد الفكر الإسلامي:

---

(١) د. محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الصحوة، ص١٨.

(٢) يراجع: الأستاذ أنور الجندي، الثقافة العربي إسلامية أصولها وانتمائها، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م، ص٣٥٩.

معنى تجديد الفكر: تحريك قوى المدارك العقلية[1]، وتنشيط المكتسبات الذهنية والانطباعات الوجدانية، لتبين الصواب بصورة أوضح، ثم العمل بمقتضى ذلك. وعلى هذا فإن تجديد الفكر ليس مجرد عملية ميكانيكية فردية وتعسفية، بل هو اجتهاد جماعي قوامه الممازجة والمقابلة مع الأخذ والعطاء والقبول والرفض[2].

ونحن حينما نتحدث عن تجديد الفكر الإسلامي، فإنَّما نعني الفكر الفاعل والمتفاعل داخل جماعة تؤلف بينها عقيدة واحدة، وقيم مشتركة، وترجع في أمورها إلى شريعة إلهية تنير أمامها منهج العمل في الدنيا، وتمهد لها سبيل الخلاص في الآخرة، وعلى هذا فإن مرامي الفكر الإسلامي، ومجالات نشاطه لا تقف عند حد إلا ما حددته الشريعة بنص قطعي، وما عدا ذلك فينبغي إخضاعه للفكر، وتمحيصه على ضوء مستجدات الزمان والمكان وتطور مناهج العلم ووسائله التطبيقية، للحكم فيها بما تقتضيه مصالح المسلمين على تعاقب أجيالهم[3] .

"فالفكر الإسلامي الحديث لابد وأن يلم شتات الأفكار الإسلامية المتنورة المبعثرة، التي تقف دون وحدتها عقبات في مجالات الحياة كافة، فتربط بينها في وحدة منطقية متجانسة تعبر عن روح العصر، فتحولها إلى تيار عقيدي إسلامي واضح، يبدأ بالتغيير في إطار مراعاة سنن الله في الوجود كي يزحزح أمامه جميع "

---

(١) فالعقل آلة الفكر، وهو الموصل لتجديد مادته، لذا ينبغي تجديد آلة الفكر قبل الاهتمام بتجديد مادته، فيجب إبراز أهمية العقل ودوره في تفهم النقل، والعلاقة بين الاثنين، فسبب الركود والجمود إهمال عمل العقل في تفهم النص والاعتماد على التبعية والتقليد.

(٢)محمد العربي الخطابي، تجديد الفكر الإسلامي غاياته وميادينه، ندوة تجديد الفكر الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، ١٩٨١م، ص٦٦-٦٧.

(٣) السابق، ص٦٧.

الأيديولوجيات " التي يطلقون عليها في المصطلح الغربي اليمين واليسار. والفكر الإسلامي لن يستطيع أن يفعل ذلك إلَّا إذا قطع الصلة بكل التيارات أو الاجتهادات الخاطئة المظلمة في تاريخنا، والتي يراد لها اليوم في لهاث مكشوف أن تضع حاضرنا ومستقبلنا من خلال تقديمها وكأنها هي الإسلام بعينه" [1].

إنَّ البداية الحقيقية الصحيحة لتجديد الفكر الإسلامي، تبدأ باستيعاب التراث الفكري الإسلامي استيعاباً تاماً، ثم غربلته وتنقيته في ضوء النص الإسلامي حتى لا تبقى له قدسية التقليد ما لم يكن أساس ذلك النص. ثم بعد ذلك استيعاب الفكر الغربي، وعقد المقارنات فيه وبين الفكر الإسلامي الخالص، لا لاتباع الفكر الغربي، أو استكمال الفكر الإسلامي به، وإنَّما لكي يتجلى أسبقية الفكر الإسلامي وتميُّزه، فلا يبقي مكاناً لمدعٍ أن يستبعد الفكر الإسلامي عن الحياة مستعيضاً عنه بالفكر الغربي ولا سيما في مجال القانون والسياسة.

فالفكر الإسلامي بحاجة إلى التحرر من الهيمنة الغربية، هذا التحرر لا يمكن أن يكون إلا بفتح باب الاجتهاد في الفكر الإسلامي، وتحريره من التقييد والتبعية حتى يستطيع المجتهدون إبراز معالم الفكر الخالص الذي يستطيع أن يقدم للإنسان حلولاً لمشاكلها المتراكمة ... وأيضا بالتصدي للغزو الفكري الغربي الكامن خلف وسائل الإعلام المفتوحة والتعليم الجامعي.

ولا يعني الانطلاق بالفكر الإسلامي من قاعدة التراث بالوقوف عنده، ولكن فقط ينبغي أن يكون التراث هو الركيزة الأساسية التي ننطلق منها إلى المعاصرة وبناء الحضارة الإسلامية الحديثة.

---

(١) د. محسن عبد الحميد، المرجع السابق، ص١٣.

"فنحن لا نقف عند الماضي، وننظر دائماً إلى الخلف، ولا نندفع وراء الفكر المستورد، فنغرق فيه، وإنَّما نأخذ من ماضينا القوة التي تدفعنا إلى الحركة والحياة، مؤمنين بشخصيتنا وقدرتنا الدائبة على العمل"[1] .

" فالتجديد الفكري في الإسلام ليس نسخاً لفكر قائم، أو تأسيساً لفكر جديد، أو إحياء لفكر قديم، بل هو عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم، لإعادة اكتشافه وتطويره، وفقاً للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر، أي أنه لا ينطلق من فراغ، بل له قواعده ومنهجه ومرجعيته وثوابته.

ولا يهدف التجديد في الفكر الإسلامي إلى الانسجام أو التوافق مع الفكر الآخر، ولا إلى درء شبهات التحجر والجمود، أو اختراع نظريات جديدة تُفصِّل الشريعة على مقاس العصر؛ لكي تلاحق تطورات الزمن ولا تكون متخلفة عنه ... فالتضحية بالشريعة من أجل إرضاء الإنسان الجديد، أو التكيف مع الأفكار الجديدة (وافدة – أو محلية)، أو توظيف النص والتراث لخدمة الواقع، أي إخضاع النظرية للتطبيق. هي موازنات لا تتوافق مع ثوابت الدين وخصائص الديمومة فيه. أما صياغة الفكر الإسلامي في إطار خطاب جديد؛ ليكون معبراً عن المشروع الإسلامي؛ فإنَّه سيحول دون اضطرار الإنسان المسلم إلى التشبث بالأفكار والأيديولوجيات الوضعية، التي تسعى لإعطاء تصور كوني عصري أو فهم عصري للحياة، متحررا من أية ضوابط إلهية"[2].

كما أنَّ الفكر الإسلامي بحاجة إلى النظر في صياغته، صياغة سهلة واضحة

---

(١) أ. أنور الجندي، الثقافة العربي إسلامية أصولها وانتمائها، سابق، ص٣٥٩.

(٢) علي المؤمن، الإسلام والتجديد، الأولى، بيروت، دار الروضة، ٢٠٠٠م، ص١٨ – ١٩.

تتناسب مع روح العصر، تخرجه من مجرد النظرية إلى مناهج واضحة صالحة للتطبيق على أرض الواقع .

فمع الواقع المؤلم الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية فإنَّها بحاجة إلى فكر عملي، بعيداً عن الفلسفات التافهة، التي لا تتناسب مطلقاً مع الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم. وإنَّما مكانها المناسب في عصر تخلص من مشاكله وهمومه، وتفرغ للترف الفكري والأحاجي وقصص الخيال.

إنَّنا بحاجة إلى فكر إسلامي يُلبي كل حاجات الإنسان المعاصر، إنسان اليوم والغد لا إنسان الماضي والأمس، بحاجة إلى مشروع فكري حضاري يستوعب متطلبات اليوم الذي نعيشه، والغد الذي نستعد له، هذا المشروع لا ينفصم عن الماضي انفصاماً تاماً، وإنَّما يأخذ منه ويبني عليه.

ومما يتطلبه تجديد الفكر الإسلامي، النظر في منهجية العلوم وطريقة عرضها، وربطها بالفكرة الإسلامية وإزالة الركام الذي أصابها عبر السنين، سواء كان هذا الركام مصدره علماء المسلمين أم من غيرهم، ثم تسخير هذه العلوم في خدمة الإسلام ومستقبله، وحل مشاكل المسلمين وتمدنهم.

ولعل أهم المجالات الفكرية التي تحتاج اليوم إلى تجديد، مجال الفكر السياسي، فالمسلمون اليوم بحاجة إلى صحوة فكرية سياسية إسلامية، تصوغ السياسة وفق النظرة الإسلامية بطريقة نظرية متكاملة يسهل تطبيقها في واقعنا اليوم، وتخرجنا عن المبادئ السياسية الغربية التي لا تتوافق مع قيمنا وشريعتنا.

في حاجة إلى تأصيل علم السياسة تأصيلاً شرعياً، تحت قاعدة شمولية الإسلام للدولة والدين معاً، مع بيان نظام الحكم في الإسلام وقواعده ومبادئه، وأنَّ قيادة

الإسلام للدولة ونظام الحكم فيها ليس على طريقة النظم الثيوقراطية القائمة على الحق الإلهي كما يظن بعض المتخوفين من أسلمة السياسة والعودة بالحكم على طريقة الخلافة الراشدة، كما أنَّها ليست على طريقة النظم العلمانية التي تفصل الدين عن الحياة كما يدعي بعض المدعين.

المبحث الخامس

القائم بتجديد الدين

المطلب الأول

شروط المجدد وصفاته

ليس بالإمكان معرفة المجدد ـ القائم بعملية التجديد ـ على وجه الجزم واليقين، وإنما معرفته تكون " بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه " [1].

ولذلك كثر الاختلاف حول تسمية المجدد في كل عصر حتى قال ابن كثير:" قد ادَّعى كل قومٍ في إمامهم أنَّه المراد بهذا الحديث " ... يقصد قوله ﷺ" إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"[2] .

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على أن أوصاف المجدد والشروط التي يجب له أن يحتويها ليست معروفة ومحددة على وجه اليقين، وهذا راجع إلى أنَّ الحديث جاء مبهماً، لم يحدد شرطاً، ولم يضع قيداً، اللهم إلا كون بعث المجدد على رأس المائة .. وهذا أيضاً قد اختلف فيه العلماء في المقصود منه على ما سيأتي.

ولعلَّ أوَّل من وضع شروطاً وأوصافاً للمجدد هو الإمام السيوطي في قصيدته المشهورة عن التجديد [3]. ثم تبعه العلماء من بعد ليقروا بعضها ويستبعدوا بعضها الآخر .

---

(١) السيوطي : تحفة المجتهدين بأسماء المجددين، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٨٢٦٠٢ .

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) انظر : السيوطي، المرجع السابق .

ويمكن حصر الشروط الخاصة بالمجدد في الآتي :

١ـ أن يكون ديِّناً صحيح العقيدة متبعاً غير مبتدع

فتجديد الدين يعني أول ما يعني تصفيته من الشوائب والأهواء، وتنقيته من البدع الدخيلة عليه، فكيف يكون المجدد من أهل البدع والأهواء . إنَّ هذا حتماً يهدم أكثر ما يبني .. إن كان يبني، ويمحوا أكثر مما يثبت ..إن كان يثبت، ومن هنا أخد العلماء باللائمة على بن الأثير عندما عد بعض أصحاب الأهواء من المجددين .[١]

فأهل الأهواء والبدع – كما يقول العظيم آبادي-" وإن وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد، وبلغوا أقصى مراتب من أنواع العلوم، واشتهروا غاية الاشتهار، لكنهم لا يستأهلون المجددية . كيف وهم يخربون الدين فكيف يجددونه، ويميتون السنن فكيف يحيونها ؟ ويروجون البدع فيكف يمحونها " [٢].

نعم إنَّ أصحاب الأهواء والابتداع في الدين قد يكون لهم بعض الفضل في إظهار الدين والذب عنه لكنهم لا يوصفوا بالتجديد و إلَّا كان وضاع للشيء في غير موضعه .

٢ـ أن يكون عالماً ناشراً لعلمه :

فكونه طويل الباع في العلوم، واسع الخطو في جميعها فهذا ضرورة للتجديد؛ لأنَّ من مهمات التجديد إحياء العلم الشرعي، ونشر العمل بالسنة، وتعليم الناس دينهم . والذين يتصدون لذلك لابد أن يكونوا على جانب من العلم متين، إلى

---

(١) يراجع: ابن الأثير، جامع الأصول،٣٢١/١١.

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود، ٣٩٢/١١.

(٣) التجديد في الإسلام، المنتدى الإسلامي، ص٥٥.

جانب معرفة أوضاع الحياة المدنية وما يناسبها [1]. فالمجدد للدين لابد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة [2].

يقول السيوطي في أرجوزته عن المجددين في شرط المجدد :

يشار بالعلم إلى مقامه وينصر السنة في كلامه
وأن يكون جامعاً لكل فن وأن يعم علمه أهل الزمن [3]

فيشترط في المجدد أن يكون علمه قد عم وشمل أهل زمانه، من علم، أو وعظ، أو أمر بالمعروف أن نهي عن منكر، وهو كناية عن انتفاع شمس تحقيقه، وبدر نصيحته وتدقيقه، فالمدار على الانتفاع بصفة أو صفات مما تقدم [4].

٣ـ أن يضطلع بعمل من الأعمال التي تدخل تحت معنى التجديد وأن يعم نفعه أهل زمانه :

ومن أهم هذه الأعمال " تجلية الإسلام مما يعلق به من الانحرافات والشوائب الدخيلة على مفاهيمه الأصيلة، وإعادته إلى منابعه الأولى الكتاب والسنة، سواء كان ذلك في المجال الفكري ببث الآراء وإفشاء العلم بالتدريس وتأليف الكتب، أو في المجال العملي بإصلاح سلوك الناس وتقويم أخلاقهم ويأتي في قمة ذلك إصلاح الإمارة والحكم [5].

وفي الجملة لابد وأن يكون المجدد كما قال السلف، ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة، يجدد للناس حياتهم عن طريق تجديد دينهم .. " عزمه وهمته آناء الليل والنهار

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود،٣٩١/١١.

(٢) تحفة المجتهدين، سابق .

(٣) محمد ابن محمد المراغي، خلاصة منحة المجددين، مخطوط، دار الكتب رقم ٢٥٣٥ .

(٤) بسطامي سعيد، مفهوم تجديد الدين،الكويت،دار الدعوة، ص٣٢-٣٣ .

إحياء السنن ونشرها، ونصر صاحبها، وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها وكسر أهلها باللسان أو تصنيف الكتب أو التدريس، أو غير ذلك، ومن لا يكون كذلك لا يكون مجدداً البتة، وإن كان عالماً بالعلوم، مشهوراً بين الناس، مرجعاً لهم [1].

وفي هذا بيان لمن يحسب أنَّ التجديد بعلم منقطع عن عمل، وفهم منقطع عن تفهيم، وتأليف وشرح منقطع عن واقع واحتياج .. بل لابد للمجدد من دور في تصحيح المفاهيم وبث المحامد، والذود عن الحق، راجعاً في ذلك كله إلى الكتاب والسنة، بعيداً عن تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين .

٤ـ انقضاء المائة عام وهو موجود على قيد الحياة (أن يكون مبعوثاً على رأس المائة):

ففي الحديث أنَّ بعث المجدد يكون على (رأس) مائة عام .. وكلمة رأس كما تأتي بمعنى أول الشيء، تأتي أيضاً بمعنى آخره، فرأس المائة يعني : أول المائة أو آخرها[2].

فذهب كثير من العلماء إلى أن المراد (رأس المائة) هنا آخرها لا أولها، فجاء في عون المعبود

" والدليل الواضح على أن المراد بـ (رأس المائة) هو آخرها لا أولها، أنَّ الزهري، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من الأئمة المتقدمين والمتأخرين، اتفقوا على أن المجددين على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ﷺ ،وعلى رأس المائة الثانية الشافعي ﷺ وقد توفي عمر سنة أحد ومائة، وتوفي الشافعي سنة أربع ومائتين .

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ٣٩١/١١ – ٣٩٢.

(٢) يراجع : العظيم أباري، المرجع السابق، ٢٦٢/١١..

فلو لم يكن المراد من (رأس المائة) آخرها ؛ بل كان أولها، لما عُدَّ عمر بن عبد العزيز من المجددين على رأس المائة الأولى، ولا الإمام الشافعي على رأس المائة الثانية [1].

واختلف العلماء في بداية المائة، فقال المناوي : يحتمل من المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة. ولو قيل بأقربية الثاني لم يبعد، لكن صنيع السبكي وغيره مصرح بأنَّ المراد الثالث ـ أي الهجرة ـ [2]. وبعض العلماء يذهب إلى اعتبار رؤوس المئين من وقت كمال الدين الذي تعين بقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة:٣]، وهذا الوقت في عام ارتحال سيد الأنام إلى المقام المحمود، فيكون حاصل الكلام أنَّ الله يبعث لهذه الأمة من وقت تكميل الدين .. بل إنه لا يتصور تجديد شيء إلا بعد التكميل [3].

وبعض العلماء يشترط في حق المجدد أن تكون وفاته على رأس القرن، وهذا واضح عند النظر في قائمة المجددين، وتاريخ وفاتهم، فعمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٠١هـ، والشافعي ٢٠٤هـ، وابن سريج ٣٠٦هـ، والباقلاني ٤٠٣هـ، والغزالي ٥٠٥هـ، والرازي ٦٠٦هـ، وابن دقيق العيد ٧٠٣هـ، والعراقي ٨٠٨هـ .

ولم يذكروا في قائمة المجددين الأئمة الذين كانوا في وسط المائة وإن كانوا أفضل من المجددين الذين كانوا على رأسها، كالإمام أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ، وابن الجوزي ٥٩٧هـ، وابن تيمية ٧٢٨هـ، وابن القيم ٧٥١هـ، والشاطبي ٧٩٠هـ ـ

(١) العظيم أبادي، المرجع السابق، ٣٨٧/١١ .

(٢) فيض القدير، ١٠/١.

(٣) رسالة في شرح حديث أن الله يبعث علي رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة دينها، لمفتي السلطنة العثمانية، مخطوط بدار الكتب، رقم ٧٢١ مجاميع طلعت .

وابن الوزير ٨٤٠هـ، وابن حجر ٨٥٢هـ، وغيرهم من العلماء، لأنَّ وفاتهم لم تقع على رأس القرن .

وقد رد الإمام المناوي على هذا بقوله " وهنا تنبيه ينبغي التفطن له، وهو أنَّ كل من تكلم على حديث إنَّ الله يبعث ...." إنَّما يقرره بناء على أنَّ المبعوث على رأس القرن يكون موته على رأسه، وأنت خبير بأنَّ المتبادر من الحديث إنَّما هو أنَّ البعث ـ وهو الإرسال ـ يكون على رأس القرن، أي أوَّله، ومعنى إرسال العالم : تأهله للتصدي لنفع الأنام، وانتصابه لنشر الأحكام، وموته على رأس القرن أخذ لا بعث .

قال : ثم رأيت الطيبي قال: المراد بالبعث من انقضت المائة وهو عالم مشهور مشار إليه والكهرماني قال: قد يكون قبيل كل مائة أيضاً من يصحح ويقوم بأمر الدين، وإنَّما المراد من انقضت المائة وهو عالم مشهور مشار إليه [1].

والظاهر والله أعلم أنَّ هذا القيد ـ رأس المائة ـ قيدٌ إتفاقيٌ وليس احترازياً، بل من الممكن أن يبعث المجدد في أي وقت من أوقات القرن، فيبعث في أوَّله أو أوسطه أو آخره،

" ومما يؤيد ذلك ما نقله العلامة السبكي عن بعضهم، أنَّ العلامة النووي مجدد المائة السادسة مع أنه ولد سنة ٦٢٠هـ، وتوفي ٦٧٦هـ [2].

وبهذا تبقي حركة التجديد مستمرة، ويكون التعيين بالقرن ليس المراد منه إلا أنَّ التجديد ظاهرة مضطردة ثابتة مكررة، تكون على تطاول الزمن، وعند حاجة

---

(١) فيض القدير،١٢/١.

(٢) محمد بن محمد المراغي، خلاصة منحة المجددين، مرجع سابق .

الحياة إلى التقويم لغفلتها عن هدفها والانحراف عن غاية نشاطها [1].

(٣) انظر : أمين الخولي، المجددون في الإسلام، ص٢٥ .

المطلب الثاني

ضرورة التجديد الجماعي في الوقت الحاضر

أولا: التجديد بين الفردية والجماعية:

اختلفت أنظار العلماء حول القائم بأمر التجديد، هل يُشترط فيه أن يكون " فرداً" واحداً أم يصح أن يكون أكثر من فرد في ذات الوقت، والسبب في هذا الخلاف أنَّ كلمة "من " في الحديث يُفهم منها الفردية والجمعية كلاهما فهي " اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحاداً وجموعاً واستغراقاً " [1].

فمن حملها على الفردية ذهب إلى أنَّ المجدد لا يكون إلا فرداً واحداً يُبعث على رأس كل مائة عام.

وعند النظر إلى قائمة المجددين التي اختارها هؤلاء العلماء، نجد كلها أفراداً، فمجدد المائة الأولى هو عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) ومجدد المائة الثانية محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ومجدد المائة الثالثة أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) أو أبو العباس بي سريج (ت ٣٠٦هـ) أو النسائي صاحب السنن (ت ٣٠٣ هـ) ومجدد المائة الرابعة القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) أو أبو حامد الأسفرايديني (ت ٤٠٦هـ) وفي الخامسة أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وفي السادسة الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) وقيل الرافعي (ت ٦٢٣هـ) وفي السابعة : ابن دقيق العيد (ت٧٠٣هـ) وفي الثامنة الحافظ العراقي (ت ٨٠٨هـ) أو سراج الدين البلقيني (ت ٨٠٥هـ).

واختار هذا الرأي الإمام السيوطي، ونسبه إلى الجمهور فقال في أرجوزته عن

---

(١) المناوي، فيض القدير، ١/١٠.

المجدد [1]:

وكونـه فـرداً هـو المشـهور قـد نطـق الحـديث والجمهـور

وذهب كثير من العلماء إلى حمل " من " في الحديث على العموم وبذلك جـوزوا تعدد المجددين في ذات الوقت. من هؤلاء العلـماء : ابـن حجـر العسـقلاني، وابـن الأثير، والذهبي، وابن كثير، والمناوي، والعظيم أبادي .

فقال بن حجر في توالي التأسيس: الذي يتعين في "من " الحمـل عـلى أكثـر مـن الواحد؛ لأن في الحديث إشـارة إلى أنَّ المجـدد المـذكور يكـون في جميـع أهـل ذلـك العصر، وهذا ممكن في حق عمر بن عبد العزيز جداً، ثم في حق الشـافعي، أمـا مـن جاء بعد ذلك فلا يعدم من يشاركه في ذلك [2].

وقال في الفتح :نبَّه بعض العلماء على أنَّه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سـنة واحدٌ فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكره النووي في حـديث: " لَا تَـزَالُ طَائِفَـةٌ مِـنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ "[3] من أنه يجوز أن تكون الطائفة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بـالحرب، وفقيـه ومحـدِّث ومفسِّرـ، وقـائمٍ بـالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهدٍ وعابد، ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قُطر واحد، وتفرقهم في الأقطار ويجوز تفرقهم في بلد وأن يكونوا في بعـض منـه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم، أولاً فـأولا إلى أن لا يبقـى إلا

(١) تحفة المجتهدين بأسماء المجددين، مرجع سابق .

(٢) توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ص٤٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم، (٦٨٨١)، صحيح مسلم،كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين"، رقم(١٧٠).

فرقة واحدة في بلد واحد، فإذا انقرضوا أتى أمر الله .

قال : فعلى هذا كل من اتصف بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا[1].

وقال ابن الأثير[2] : لا يلزم أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً وإنَّما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه، فإنَّ لفظة " من " تقع على الواحد والجمع .

ثم قال : فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة يجددون للناس دينهم.

ونقل السهارنفوري عن الشيخ محمد يحيي " من يجدد لها دينها " أي نوعاً منهم وأشخاصاً، فلا يلزم أن يكون واحداً بالشخص، وإن ذهب بعض العلماء في معنى الحديث الذي نفينا، ووجه ما ذهبنا إليه أنه لا ينطبق على كثير ممَّن تشرف بالتجديد أن يكون جدَّد كل نوع من أنواع الدين، فكم من محدث ليس له من تجديد الفقه نصيب، وكم من باعثٍ على أعمال حسنة هو في نشر أقسام العلوم غريب، مع أنه لم يسمع أنَّ أحداً من هؤلاء عم حديثه وفيضه جملة الأقطار، وتشرفت بتجديده، بحسب الظاهر جملة القرى والأمصار ....ولا يبعد أن يكون لكل مملكة وبلدة من معظم الممالك مجدداً على رأس المائة[3].

وعلى هذا فالمجدد قد يكون جماعة، أو مدرسة فكرية، أو دعوية أو تربوية، أو جهادية، تعمل في مجال أو أكثر لإصلاح المجتمع، وتغيير حال الأمة، وتجديد دينها :

---

(١) فتح الباري، ١٣/٢٩٥ .

(٢) جامع الأصول، ١١/٣٢٠- ٣٢١ .

(٣) بذل المجهود في حل أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٧/٢٠٣ - ٢٠٤.

تجديد الفهم له، والإيمان به، والعمل به والدعوة إليه .

ثانيا: التجديد المناسب للعصر الحاضر:

وهذا الرأي – التجديد الجماعي- هو ما نرجحه وما نذهب إليه وخصوصاً في هذا العصر الذي اتسعت فيه الأقطار، وتنوعت فيه القضايا، وتعددت فيه الأمور التي تحتاج إلى تجديد، والتي لا يستطيعها فرد واحد مهما كانت قدراته ومهما أوتي من مواهب وملكات. اللهم إلا أن يكون هذا المجدد نبيا من الأنبياء وهذا ما لا يكون أبداً.

ينبغي أن ننسى فكرة الفردية في التجديد، تجديد الشيخ القائد الذي يجيد كل شيء، ويفقه كل شيء، ويقود الأمة إلى طريق الخلاص، ويعيد لها مجدها الضائع.

إنَّ الأقرب إلى الصواب، والأولى بالتفهم، هو التجديد الجماعي. الذي يبذل فيه كل إنسان وسعه في حل مشكلات الأمة، والعودة بها إلى دينها، لا يستأثر أحد منهم بهذا الأمر، بل يكمل بعضهم نقص بعض، مع هذا يصبح كل واحد منهم مجدداً.

وقد روى الطبراني في الأوسط، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قلت يا رسول الله: إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرنا؟ قال: " تشاورون الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأي خاصة"[1].

فعند الالتباس وكذلك عند النوازل، فالأمر لا يستطيعه فرد واحد، وتقع المسؤولية على عاتق الجماعة. وعلى ذكر النوازل، فلست أرى نازلة حلت بالأمة مثل الانحدار الذي تمر به اليوم، فالأمر يحتاج إلى تجديد جماعي تكاملي، بعيداً عن

---

(١) قال المتقي الهندي: الحديث عن هذه الطريق: حسن صحيح، كنز العمال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م، ٤٥٧/٢.

الفردية والوحدوية.

فالتجديد الجماعي يكون أقدر على علاج قضايا الأمة في زمن تعددت فيه الخبرات، وتشعبت فيه العلوم، وتعقدت المعاملات أشد التعقيد، وأحاط بها الكثير من التشابك مع قضايا وعلوم أخرى، بصورة لم تكن معهودة من قبل، وطرأت أنظمة جديدة للحياة لم تكن موجودة[1] من قبل ذلك.

ولعلنا نجد سندا مقنعا للتجديد الجماعي في حديث النبي ﷺ :" لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ"[2]، وقوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[3].

كذلك في فعل الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ، فقد روى ميمون بن مهران: " أنَّ أبا بكر ﷺ، كان إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم به من رسول الله ﷺ في ذلك سنة قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أنَّ رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر، كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا. فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا

---

(١) د. وهبه الزحيلي، الاجتهاد، صـ١٧٥-١٧٦، عن د. عبد المجيد السوسه، الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، سابق، صـ٨٧-٨٨.

(٢)الحديث سبق تخريجه.

(٣) سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث،رقم(٢٠٧٠٠)وقال الألباني في مشكاة المصابيح: حديث صحيح.

اجتمع رأيهم على أمر قضى به"[1].

وكذلك كان عمر ﷺ يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء، فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به، و إلا دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فإذا اجتمعوا على أمر قضى به[2] .

ثالثا: كيفية تحقيق التجديد الجماعي في هذا العصر:

فنحن في حاجة إلى مؤسسة عظيمة- أو عدة مؤسسات- تأخذ على عاتقها تجديد الدين، وبث الروح في الأمة، هذا التجديد لا ينحصر في جانب معين، أو في مجال واحد، وإنَّما تجديدٌ شامل، يبدأ من دراسة واقع الأمة، وحصر مشكلاتها، وتبين أسباب ضعفها وهوانها.

يأتي بعد ذلك وضع الحلول الكلية، التي تضمن إخراج الأمة من كبوتها، وبعثها من نومتها. هذه المؤسسة تكون كالمنارة بالنسبة للعلماء والمفكرين، يسيرون وفق مخططاتها، ويعملون تبعاً لتوجيهاتها، فتكون بمثابة المرشد الرائد الذي يقود الأمة نحو الخلاص.

فتستكتب العلماء، وتستحث الخطباء، وترشد الساسة، مستفيدة من الكم الهائل من المؤلفات الحديثة، والرسائل العلمية والأبحاث الجادة، فضلاً عن كنوز التراث الإسلامي، وخبرات الرجال.

وعمل هذه المؤسسة يتلخص في:

---

(١) سنن الدرامي، باب الفتيا وما فيه من الشدة، رقم(١٦١)، الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي، رقم(٢٠١٢٨)، مكة المكرمة، دار ابن باز، ١٩٩٤م.

١- العودة بالدين إلى ما كان عليه في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وإزالة ما طرأ من بدع ومحدثات داخلة عليه، وهذا يعني الحفاظ على النصوص الإسلامية، وإزالة ما دخل عليها كالأحاديث الموضوعة وغيرها، وأيضاً محاولة تفهمها فهماً صحيحاً ينفي عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

٢- التيسير والتبسيط والشرح، فالدين ليس لطائفة مخصوصة من الناس وإنَّما مخاطب به العوام أيضاً، ومن المهم التوصل لهؤلاء العوام – وهم الكثرة- حتى يتسنى لهم معرفة أكبر قدر منه، وحبه والدفاع عنه.

٣- الانتصار للدين ورفع رايته وإقامة سلطانه وإعلاء شأنه، فالدين اليوم يحتاج إلى ناصر يعيد أمجاده، ويجاهد عنه وينتصر له.

٤- الاجتهاد في المستجدات، والبحث عن حلول لها، تتوافق مع الثوابت وتتناسب مع الواقع.

٥- تحسس واقع الأمة، وحل مشكلاتها، وتصحيح الانحرافات التي قد تتجه لها، سواء كانت الانحرافات في المفاهيم والقيم، أم كانت في السلوك والعمل.

٦- عرض الدين على الآخر بطريقة تجمع بين اليسر والمنطق، وتجمع بين عالم الغيب وعالم الشهادة.

وهذا العمل المؤسسي يحتاج إلى نية مخلصة، وعزم صادق، وعمل بالليل والنهار، والأساس فيه هو البدء، والله المتكفل بالعون، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

المبحث السادس

عمر بن عبد العزيز نموذجاً للمجددين

من المستحسن في مثل هذه الأبحاث أن ترتبط النظرية بالتطبيق، ومن الحسن أن يكون التطبيق مثالاً حياً واقعياً قريباً من دنيا الناس، يسهل تطبيقه ويسهل الاقتداء به.

وإذا أخذنا نبحث عن مثالٍ للمجددين، قام بعمل من أعمال التجديد، وظهر أثره في هذا، أثر يتفق الجميع عليه، ولا ينكره أحد، ولا يطعن فيه أحد، ومع ذلك هو واحد من الناس ليس بمعصوم، ولا تربى على يد المعصوم ﷺ، فلن نجد في هذا أقرب من عمر بن عبد العزيز ﷺ، الذي اتفق العلماء على كونه مجدد المائة الأولى، بل ربما وصفه البعض بأنه المجدد الكامل الذي جدد الحياة بأسرها وجدد كل مجالاتها.

" الرجل الذي حاول نقل عصر الوحي بمثله وفضائله إلى دنيا هائجة مائجة، مفتونة مضطربة، متلفعة بالظلم والقهر، متعفنة باللهو والترف. ثم نجح في محاولته نجاحاً منقطع النظير "[1].

وهذا المثال التطبيقي والنموذج الحي يعرض لنا مجالات التجديد، وكيف يكون التجديد، ودور المجدد في عملية التجديد.

في هذا النموذج لا نريد أن ننظر لعمر بن عبد العزيز من خلال التجديد، بل لننظر للتجديد من خلال عمر بن عبد العزيز ﷺ.

التعريف بعمر بن عبد العزيز ﷺ:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد

---

(١) خالد محمد خالد، الدولة في الإسلام، الأولى، القاهرة، دار ثابت، ص١٠٧.

مناف، الإمام الحافظ العلامة المجتهد، الزاهد العابد، السيد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص، القرشي الأموي، الخليفة الزاهد الراشد، أشج بني أمية [1].

وُلد بالمدينة سنة إحدى وقيل : ثلاث وستين، زمن يزيد، ونشأ في مصر في ولاية أبيه عليها، وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ وكان بوجهه شجه ضربته دابة في وجهه وهو غلام، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشجَّ بني أمية إنَّك لسعيد، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلاً [2].

قال عنه الإمام الذهبي[3]: كان حسن الخَلْق والخُلُق، كامل العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أوَّاهاً منيباً، قانتاً لله حنيفاً، زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظالمين، الذين ملّوه وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أعطياتهم، وأخذه كثيراً ممَّا في أيديهم، ممَّا أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى سقَوه السم، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُدَّ عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين .

الكلام في كونه مجدداً:

لم يتفق العلماء على تسمية مجددٍ بعينه، كاتفاقهم على عمر بن عبد العزيز ﷺ،

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١١٤/٥.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، الأولى مطبعة السعادة، ١٩٥٢، ص٢٠١، الذهبي تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، ١١٨/١.

(٣) سير أعلام النبلاء،١٢٠/٥.

حتى أصبح هذا الأمر وكأنَّه إجماعٌ على ذلك، وأوَّلوا حديث النبي ﷺ" إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا " بأنَّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أوَّل المجددين، ولعلَّ أوَّل من تكلم في أنَّ عُمر أوَّل المجددين هو التابعي الجليل محمد بن شهاب الزهري .

فقد أخرج الحاكم من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب أنَّ الزهري قال : " ..... فلما كان رأس المائة منَّ الله على هذه الأمة بعمر بن عبد العزيز "[1]وتبعه على هذا القول الإمام أحمد بن حنبل، فروى عنه قوله " يروي في الحديث إنَّ الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحِّح لهذه الأمة دينها، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز [2].

وتتابع العلماء على عدِّه أوَّل المجددين ...قال محمد بن علي بن الحسين، سمعت أصحابنا يقولون: كان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز و في المائة الثانية محمد بن إدريس الشافعي رحمة الله عليهما[3].

بل إنَّ ابن حجر يذهب إلى أنَّه المجدد الكامل؛ الذي طرق كل أبواب التجديد فقال في الفتح: "...فإنَّ اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يُدَّعى ذلك في عمر بن عبد العزيز فأنَّه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدُّمه فيها، ومن ثمَّ أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث

---

(١) الحافظ ابن حجر، توالى التأسيس، تحقيق : عبد الله القاضي، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦، ص٤٨-٤٩ .

(٢) ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٢ .

(٣) ابن عساكر، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، ص٥٢ .

عليه".

الدور الإصلاحي والتجديدي لعمر بن عبد العزيز:

أولاً : تجديد السياسة ونظام الحكم والعودة به إلى الخلافة الراشدة:

تحول الخلافة إلى ملك عضوض:

لأمرٍ ما كان بعث الله المجددين على رأس القرن، وهذا ما أدركه الإمام السيوطي حيث يقول:" وإنَّما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخرام علما المائة غالبا، واندراس السنن، وظهور البدع، فيحتاج إلى تجديد الدين؛ فيأتي الله من الخلف بعوض من السلف [1].

فقد توالت ظهور المحن قبل عهد عمر ﷺ فاستوجب ظهور المنح، حتى لا يضيع الإسلام ويهلك أهله ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[الفتح:٢٣] .

وحتى نستطيع أن نقدَّر قيمة أعمال عمر التجديدية والإصلاحية في شئون السياسة والحكم، لابد من وقفة سريعة على عصره والعصور التي سبقته؛ لننظر لمعنى التجديد وأثره على الأمة الإسلامية، ونحكم إن كان يستحق لقب المجدد أم أنَّه ادعاء أُمضي من دون تمحيص وتدبر .

ملامح نظام الحكم في عهد الراشدين :

بقي نظام الحكم بعد وفاة النبي ﷺ قائماً على منهاج النبوة، أساسه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[

---

[1] تحفة المجتهدين بأسماء المجددين، سابق .

النساء:٥٨]، وشعاره ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ﴾ بَيْنَهُمْ [الشورى:٣٨]، وباعثه ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[الحج:٤١].

وبهذا صار حكم الخلفاء الراشدين رحمة بين الناس، مبدؤها اقتناعهم بشخص الخليفة إذ كانوا هم مصدر اختياره، يلي ذلك اقتناعهم بأعماله إذ كانوا هم مصدر الرقابة عليه، ثم ثقتهم بأخذ حقوقهم إذ كانوا هم مصدر التنفيذ والفعل.

يبدأ الخليفة خطبة توَّليه بقوله " وُليت عليكم، ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حقٍ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطلٍ فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم "[1].

استمر هذا الحكم الراشد ثلاثين عاماً بعد وفاة النبي ﷺتصديقا لقوله ﷺ " الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا"[2]. وهذه المدة انتهت في ربيع الأول عام ٤١هـ ، حين تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين .

الحكم في عهد الدولة الأموية :

إذا كان الحكم الراشد قد تميَّز أوَّل ما تميَّز بقيامه على مبدأ الشورى، فإنَّ هذه الميزة قد أُقصيت واستغنى عنها مع قيام الدولة الأموية، بل إنَّ الدولة الأموية لم تكن لتولد وتحكم المسلمين إذا أُمضى مبدأ الشورى وكان اختيار الخليفة نابعاً عن شورى صحيحة، وسواء كان في ذلك العصر الأموي الأول؛ الذي بدأ بخلافة

(١) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ٢٣٦/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٨/٥.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب، أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم، رقم (٦٩٤٣).

معاوية ﷺ أم العصر الأموي الثاني، الذي بدأ بخلافة مروان بن الحكم. فمعاوية ﷺ يستهل خلافته بقوله " ما وليت أمركم حين وليت إلا وأنا أعمل أنَّكم لا تُسرون بولايتي ولا تحبونها، وإنِّي لعالمٌ بما في نفوسكم من ذلك، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ...."[1].

ومروان بن الحكم لم يصل إلى الخلافة إلا عنوة وغصباً، حتى إنَّ الذهبي لم يعده من أمراء المؤمنين، بل هو عنده باغٍ خارج عن ابن الزبير، وتبعه على ذلك السيوطي[2].

وإذا تتبعنا خلفاء بني أمية وجدنا أنَّ أحدهم لم يأت عن طريق اختيار المسلمين ورضاهم؛ وإنما هي دولة توارثوها، وباتوا يقتسمونها فيما بينهم . ليس هذا فحسب، بل ليتهم مع عدم رضا المسلمين عن خلافتهم عدلوا فيما بينهم وأدوا الأمانة التي كلفوا بحملها، بل يكف دولتهم شراً، أنَّ الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي قيل فيه: ما بقيت لله حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج [3]كان رأس حربتهم في عهد خليفتين منهم، وقبل الحجاج وعلى نفس الولاية كان زياد بن أبيه الذي وصف سيرة نفسه بقوله:" وإنِّي أقسم بالله لآخذن الولي بالمولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد .... وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي " [1].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤١/٨.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٣٠ .

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٧/٦.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. عبد المجيد الترصاني، ١٤١٧هـ، ٢٠١/٤.

عمر بن عبد العزيز والعودة بالحكم إلي عهد الخلافة الراشدة:

إذا كان عهد الخلفاء الراشدين قد تميز عن غيره بإقامة الشورى، وأداء الأمانة، والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنَّ عمر بن عبد العزيز ﷺ قد عمل على العودة بهذه الأمور إلى ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين .

مبدأ الشورى:

فما أن تولى عمر بن عبد العزيز ﷺ الخلافة حتى أخذ يصلح منها ما أفسده خلفاء بني أمية من قبله، يريد أن يعود بها كما كانت عليه في عهد الخلفاء .

فعندما قرأ رجاء بن حيوة عهد أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، وقد أوصى بالخلافة لعمر، صعد المنبر فقال: أيها الناس: إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبةٍ له ولا مشورةٍ من المسلمين، وإنِّي قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون[1].

وهذا الكلام يعني عدم رضائه أن يتولى أحدٌ إمامة المسلمين بغير مشورتهم، وهو خلع صريح لنفسه من هذا الأمر، حتى يتسنى للمسلمين أن يختاروا إمامهم ؛ ثمَّ إن المسلمين اختاروه فعلاً، فعندما قال ما قال " صاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا، ورضينا كلنا بك" [2].

ولم يكتف عمر بمبايعة الحاضرين في المسجد، فالبيعة واختيار الخليفة حقٌ لكل مسلم داخل الدولة الإسلامية، لذا أرسل إلى الأمصار ينظر آراءهم وقال في خطبته " ... وإنَّ من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم، فأنا واليكم، وإن

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٨/٩.

(٢) المرجع السابق .

هم أبوا فلست لكم بوال "[1].

وقد اهتم ﷺ بتفعيل مبدأ الشورى في خلافته، ومن أقواله في الشورى: إنَّ المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم [2].

أمَّا ما أخذه البعض عليه من إبقاء يزيد بن عبد الملك وليَّاً لعهده من غير مشورة المسلمين، فذلك لأن العصبية إذ ذاك كانت في بني أمية ولو خالفهم لوقعت الفرقة وقامت الفتن، ولذا كان يقول إذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر:" لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة "، ولو أراد أن يعهد إليه لفعل، ولكنه كان يخشى من بني أميَّة أهل الحل والعقد في عهده[3].

الأمانة في الحكم :

تذكر كتب التاريخ أنَّ عمر بن عبد العزيز ﷺ زهد في الخلافة خوف تحمل أمانتها وتبعاتها، فيذكر ابن كثير، أنَّ سليمان بن عبد الملك لما حضرته الوفاة، كتب عهده في كتاب وسلمه إلى رجاء بن حيوة، فجاء عمر بن عبد العزيز إلى رجاء، فقال: أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلَّا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستعفيَه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة [1].

ولما قضى الكتاب وبايعه الناس للخلافة قال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، ولم تحمله

---

(١) السابق .

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص١٨٩.

(٣) يراجع: ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦٢.

(١) البداية والنهاية، ٢٠٦/٩، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٩١.

رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فأصعدوه على المنبر [٢].

وفي سبيل تحقيق مبدأ الأمانة في الحكم، عمد إلى الأُمناء وأصحاب الأهليَّة، فقلدهم مناصب الدولة، وعزل من لا تتوفر فيه مؤهلات المنصب، وقد كانت تلك هي سياسته التي لم يترك مناسبة إلا وأعلن عنها، ومن بعض تعليماته في هذا الشأن ما كتبه لأحد ولاته: " لا تُوليَّن شيئا من أمور المسلمين، إلا المعروف بالنصيحة لهم، والتوفير عليهم، وأدى الأمانة فيما استرعى " [٣].

وكتب أيضا:" لا يُستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن، فإن لم يكن عندهم خير، فغيرهم أولى ألا يكون عنده خير " [٤].

ولم يحاب أحداً من أسرته، بل كان يقول لهم:" ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء " [١]. وقد صرح كثير من الأئمة بأنَّ كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة[٢].

العدل في دولة عمر :

طلب عمر ﷺ من الحسن البصري أن يصف له الإمام العادل حتى ينتهج سبيله فكتب إليه " اعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الله قد جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفه كل مظلوم، ومفزع

---

(٢) ابن كثير، السابق،٩/٢٠٧.

(٣) الإمام الطبري، تاريخ الطبري،٤/٦٦.

(٤) ابن كثير، سابق،٩/٢٣٣.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء،٥/١٣٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/٢٠٨.

كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، ويكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين كعبد استأمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله ".

وعلى هذا النهج صار عمر ﷺ وصار ولاته، قال يحيى الغسانِّي " لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقباً، فكتبت إليه أعلمه حال البلاد وأسأله أخذ الناس بالظنَّة، وأضربهم على التُهمة أو أخذهم بالبيِّنة وما جرت عليه السنة، فكتب إلى أن خذ الناس بالبيِّنة وما جرت عليه السنَّة، فإن لم يصلحهم الحق، فلا أصلحهم الله، قال يحيى: فعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقباً "[1].

وكتب لعدي بن أرطأة حين استأذنه أن يمس المتهمين بشيء من العذاب حتى يعترفوا :" العجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر، كأنِّي لك جُنَّة من عذاب الله، وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل، فانظر ما قامت عليه بيِّنة عدول، فخذه بما قامت عليه البيِّنة، ومن أقرَّ لك بشيء فخذه بما أقر به، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم، وخل سبيله، وأيم الله لأن يلقوا الله بجنايتهم، أحب إلى من أن ألقى الله بدمائهم "[2].

---

(١) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر، ص٨٩.

(٢) المرجع السابق.

وكان عدل عمر يتمثل في:

١ـ رد الحقوق إلى أصحابها

فما أن تولى ﷺ الخلافة حتى نادى في الناس، من كان له حق على أمير أو جماعة من بني أمية، أو لحقته منهم مظلمة، فليتقدم ببينة ليأخذ حقه، وأخذ في رد المظالم وإعطاء كل ذي حق حقه حتى قال ابن موسى " ما زال عمر بن عبد العزيز يرد المظالم منذ يوم استخلف إلى يوم مات "[١].وعن أبي بكر بن محمد قال : كتب إلي عمر بن عبد العزيز أن أستبرئ الدواوين فأنظر إلي كل جور جاره من قبلي في حق مسلم أو معاهد فرده عليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم [٢].

٢ـ عزله لجميع الولاة والحكام الظالمين

فلما ولِّي الخلافة عمد إلى جميع الولاة والحكام الظالمين فعزلهم عن مناصبهم، ومنهم خالد بن الريَّان، صاحب حرس سليمان بن عبد الملك الذي كان يضرب كل عُنقٍ أمره سليمان بضربها، وعيَّن مكانه عمرو بن مهاجر الأنصاري، وقال: اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان، اللهم لا ترفعه أبداً، ثم قال لعمرو بن مهاجر: والله إنك لتعلم يا عمرو إنَّه ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام، ولكنِّي سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألا يراك معه أحد، فرأيتك حسن الصلاة.

وكتب إلى الجراح بن عبد الله، عامله في خراسان :

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى،٥/٣٤١.

(٢) المرجع السابق،٥/٣٤٣.

" بلغني أنَّك استعملت عبد الله بن الأهتم،وأنَّ الله لم يبارك لعبد الله بن الأهتم في العمل فاعزله ولا تهتم بقرابته لنا، وبلغني أنَّك استعملت عمارة الطويل، ولا حاجة لي بعمارة، ولا بأذى عمارة للناس وضربهم، ولا بشخص قد صبغ يده في دماء المسلمين ؛ فاعزله .

٣ـ رفع المظالم عن الموالي وأهل الذمة

تعرض الموالي قبل عمر بن عبد العزيز للمظالم، فقد فرضت الجزية على من أسلم منهم، كما مُنعوا من الهجرة، مثلما حدث للموالي في العراق ومصر وخراسان، وفي عهد عبد الملك بن مروان أوقع الحجاج بالموالي ظلماً عظيماً، فقد عمل على إبقاء الجزية على من أسلم منهم، وحرمهم من الهجرة إلى قراهم، فلما تولى عمر بن عبد العزيز، أزال تلك المظالم التي لحقت بهؤلاء الموالي، وكتب إلى عمَّاله يقول: فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي من أهل الجزيرة اليوم فخالط المسلمين في دارهم، وفارق داره التي كان بها فإنَّ له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه غير أرضه وداره، إنما هي من فيئ الله على المسلمين عامة، ولو كانوا أسلموا عليها قبل أن يفتح الله للمسلمين كانت لهم، ولكنها فيئ الله على المسلمين عامة [١].

وكتب إلى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن، يسأله أخذ الجزية المتراكمة على اليهود والنصارى والمجوس الذين أسلموا، فكتب إليه عمر: كتبت إليَّ تسألني عن أُناسٍ من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذنني في أخذ الجزية منهم، وإنَّ الله بعث محمداً

(١) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٧٦-٧٩، الصلابي، ص٥٢.

ﷺداعياً،ولم يبعثه جابياً، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه من ماله الصدقة ولا جزية عليه، وميراثه ذوي رحمه إذا كان منهم يتوارثون أهل الإسلام، وإن لم يكن وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يُقسَّم بن المسلمين، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين، يعقل عنه منه والسلام "[1].

٤ـ وضع المكوس

لما ولي عمر بن عبد العزيز ﷺ وضع المكس عن كل أرض ووضع الجزية عن كل مسلم [2]. وكتب إلى عدي ابن أرطأة أن ضع عن الناس ... والمكس، ولعمري ما هو المكس ولكنه البخس الذي قال الله فيه: ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [الشعراء:١٨٣] فمن أدى زكاة ماله فاقبل منه، ومن لم يؤد فالله حسيبه "[3].

وكتب إلى عامله عبد الله بن عوف على فلسطين : اركب إلى البيت الذي يقال له: المكس، فاهدمه ثم احمله إلي فانسفه في اليم نسفاً "[4].

ـ الرفق بالحيوان

فقد أكد عمر بن عبد العزيز على الرفق بالحيوان وعدم ظلمه أو تعذيبه، قال أبو يوسف حدثنا عبد الله بن عمر أن عمر بن عبد العزيز، نهى أن يجعل في طرف السوط حديدة ينخس بها الدابة، ونهى عند اللجم الثقال [5].

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص١٤٢ .

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى،٥/٤٣.

(٣) السابق،٥/٣٨٣.

(٤) ابن الجوزي، سيرة عمر .

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، ٦/٤٦٣، تحقيق: كمال الحوت، الأولى ١٤٠٩، مكتبة الرشد،

وحين بلغه أن قوماً يحملون على الجمال ما لا تطيق وذلك في مصر، كتب إلى واليها يحدد أقصى حمولة للبعير بستمائة رطل، وطلب منه إبلاغ الناس بذلك.

التجديد في السلطة القضائية

إذا كانت السلطة القضائية، تعتبر من أهم الأركان التي تقوم عليها الدول، وأنَّ القاضي هو أساس هذه السلطة، فإنَّ عمر بن عبد العزيز قد أولي هذه السلطة عناية خاصة بدءاً من اختيار القضاة ومن يصلح للقضاء، وانتهاءً بوضع مناهج خاصة يسير عليها القضاة .

فقد وضع شروطا خمسة أساسية لمن يختار لهذه المهمة وهي : العلم والحلم، والعفة، والاستشارة، والقوة في الحق . وقال : " لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال : عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الرأي، لا يبالي ملامة الناس " [1].

وأما المنهج الذي وضعه للقضاة، فمن ذلك ما كتب به إلي ميمون بن مهران قاضي الجزيرة، عندما شكي إليه شدة القضاء، " إني لم أكلفك ما يعنتك، اجتن الطيب، واقض بما استبان لك من الحق، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إلي، فلو أنَّ الناس إذا ثقل عليهم أمر تركوه، ما قام دين ولا دنيا [2].

كذلك فإنه ﷺ لم يجعل للقاضي ولا للوالي الحكم في قضايا القتل والصلب، إلا بعد مراجعته وإقراره، وكان يكتب إليهم " ادرؤوا الحدود ما استطعتم في كل

الرياض .

(١) ابن سعد، الطبقات الكبري، ٣٦٩-٥/٣٧٠.

(٢) أبو يوسف، الخراج، السادسة، القاهرة المطبعة السلفية، ص١٢٤ .

شبهة، فإن الوالي إذا أخطأ في العفو، خير من أن يتعدى في العقوبة "[1] .

وكان يأمر بتعجيل النظر في أمر المتهمين ومعاملتهم بالإحسان، وكتب إلي عمَّاله " لا تدعُنَّ في سجونكم أحداً من المسلمين في وثاقه، لا يستطيع أن يصلي قائماً، ولا يبيتن في قيد إلا رجلاً مطلوباً بدم، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم [2].

التجديد في الإدارة المالية في عهد عمر بن عبد العزيز: كانت السلطة المالية في عهد بني أمية ـ قبل عمر بن عبد العزيز ـ في أيدي الخليفة ليس عليه فيه رقيب ولا حسيب، يمنع المال عن أصحاب الحق، ويعطي آخرين لا حق لهم، وربما أعطي الخليفة الشاعر يمدحه ألف ألف درهم .

ليس هذا فحسب بل فرضوا علي الناس رسوماً وضرائب لم يأت بها الإسلام ولم تكن في عهد الراشدين، ومن ذلك المكوس التي كانت تفرض علي البائعين في الأسواق .

ولما تولي عمر بن عبد العزيز أخذ علي نفسه تجديد هذه المؤسسة ـ المؤسسة المالية ـ والعودة بها إلي عهد الخلفاء الراشدين، فكتب إلي سالم بن عبد الله بن عمر : اكتب إلي سيرة عمر في الصدقات حتى أعمل بها، فكتب إليه بالذي سأل " [1].

وكان يعلم تمام العلم أن بدء الإصلاح يبدأ من النفس ثم الأقرب فالأقرب، وأنه إذا لم يستطع أن يعالج هذا الأمر في نفسه وأهله فلن يستطيع أن يعالجه مع بقية

---

(١) عبد الرازق بن همام، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الأولي، المجلس العلمي ن ٦/٦٤ .

(٢) أبو يوسف، الخراج، ص١٦٢.

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠١.

الناس، فبدأ برد المظالم مبتدءا ببني مروان فأخذ منهم الأموال التي اغتصبوها بغير حقها وردها إلي بيت المال ولما اشتكي بنو مروان من ذلك إلي عمتهم قال لها : " يا عمة : اعلمي أن النبي ﷺ مات وترك الناس علي نهر مورود، فولي ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه شيئا حتى مات، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه حتى مات، ثم ولي ذلك النهر رجلا آخر فكري منه ساقيه، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه، وأيم الله لئن أبقاني الله لأردنه إلي مجراه الأول فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط "[1].

ثانيا:التجديد في مجال العقيدة:

لا يمكن أن ينصلح الناس بسياسة، لا تكون ركيزتها العقيدة، ولا يجوز أن تنهض الأمة الإسلامية بالذات إذا فسدت عقيدتها، حتى وإن استعاضت عنها بكل فكر أو أيديولوجية وضعية، وعمر بن عبد العزيز لإدراكه لهذه المسلَّمة، أخذ يعالج الخلل الذي أصاب المسلمين من جهة عقيدتهم ويبث فيهم العقيدة الصافية النقية التي جاء بها النبي ﷺ بعيدة عن البدع والأهواء التي شابتها.

الاتباع لا الابتداع

فقد روي عنه رضي الله عنه أنه قال : " والله إنِّي لولا أن أنعش سنة قد أميتت، أو أن أميت بدعة قد أحييت، لكرهت أن أعيش فيكم قواما "[2].

ولما بايعه الناس صعد المنبر وكان من قوله : " أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة، ولا بعد أمتكم أمة، ألا وإنَّ

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/٢٣٩.

(٢) الشاطبي، الاعتصام، ص٢٦ .

الحلال ما أحله الله في كتابه علي لسان نبيه حلال إلي يوم القيامة، ألا وإنَّ الحرام ما حرَّم الله في كتابه علي لسان نبيه حرام إلي يوم القيامة، ألا وإنِّي لست بمبتدع ولكني متبع، إلا وإنِّي لست بقاضٍ ولكني منفذ ..." .

وكتب إلي أحد عماله " أوصيك بتقوي الله عز وجل، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة ؛ فإنَّها بإذن الله لك عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضي قبلها ما هو دليل عليها، أو عبرة فيها، فإنَّ السنة إنَّما سنها من علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم، فإنَّهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ قد كفونا، ولهم علي كشف الأمور كانوا أقدر، وبفضل ما فيه كانوا أولي " [1].

موقفه من أهل الأهواء والبدع :

كان رضي الله عنه حريصاً أشد الحرص علي مجانبة الأهواء والابتداع في الدين، فعندما أتاه رجل يسأله عن شيء من الأهواء قال له :" الزم دين الصبي في الكُتَّاب، والأعرابي واله عما سوي ذلك "[2] .

وقد واجه أصحاب الأهواء مواجهات حاسمة بطرق مختلفة، كان غالبها يعتمد علي الحجاج والمناظرة، والإتيان علي حججهم، وقد ارتدع منهم ناس كثيرون ورجعوا إلي مذهب الحق، وبقي آخرون منهم علي ما هم فيه من ضلال وتخبط .

فعن عمر بن مهاجر قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان يقول في القدر،

---

(١) ابن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، تحقيق : د. عثمان الأثيوبي، الثانية، الرياض، دار الراية ٢/٢٣٢ .

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبري، ٥/٣٧٤ .

فبعث إليه فحجبه أياماً، ثم أدخله عليه، فقال : يا غيلان، ما هذا الذي بلغني عنك ؟ قال عمر بن مهاجر فأشرت إليه ألَّا يقول شيئا، قال : فقال : نعم يا أمير المؤمنين إنَّ الله عز وجل قال : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ قال : اقرآ أخر السورة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ۝٣١﴾ . ثم قال ما تقول يا غيلان، قال : كنت أعمي فبصَّرتني، و أصم فأسمعتني، وضالًّا فهديتني، فقال عمر : اللهم إن كان عبدك غيلان صادقا فثبته، وإن كان كاذبا فاجعله آية للمؤمنين[1].

ثالثاً:التجديد في مجال الفكر الإسلامي والعلوم :

اهتمام عمر ﷺ بالعلماء:

إذا كان العلماء في الأساس هم مصدر الفكر وناشروه، لذا فإن عمر ﷺ قد اهتم بهم اهتماماً بالغا، وحرص علي إنزالهم منازلهم، كما عمل علي أن يكونوا قريبين منه، فجعلهم بطانته ووزراءه، حتى إنَّه تمني أن لو استخلف علي المؤمنين أحدهم، فقد كان إذا رأي القاسم بن محمد بن أبي بكر (أحد فقهاء المدينة) يقول : " لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة " .

كذلك فقد وجه الأمة كلها إلي الاهتمام بالعلم، وفي ذلك يقول : إن استطعت

(١) ابن بطة العكبري، الإبانة الكبري، ٢٣٥-٢/٢٣٦.

فكن عالماً، فإن لم تستطع، فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم .

ومن ضمن اهتمامه العملي بالعلماء تفريغهم لطلب العلم، وإجراء الأرزاق عليهم فقد ذكر ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله، كتب عمر بن عبد العزيز إلي عماله : أن أجروا علي طلبة العلم الرزق، وفرغوهم للطلب [1].

ومن ذلك كتابه إلي والي حمص :" انظر إلي القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار؛ يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا، وإن خير الخير أعجله، والسلام عليك .

الاهتمام بنشر العلم:

عن جعفر بن برقان الرقي قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : أمَّا بعد فمر أهل الفقه والعلم من عندك فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم ومساجدهم .

تدوين السنة النبوية:

تكاد تجمع الروايات أنَّ أوَّل من فكر في جمع الحديث وتدوينه من التابعين، عمر بن عبد العزيز، وذلك لأنَّه قد لاحظ وجود كثير من الخلافات المذهبية والعرقية واللغوية بين الناس، وخشي أن يؤدي ذلك إلي ضياع السنَّة واختلاطها بغيرها من الآثار الموضوعة [2].فبادر ﷺ بالكتابة إلي ولاته للتحري في جمع السنة النبوية

---

(١) تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الأولي، دار بن الجوزي، ١/١٤٩.

(٢) وإلي هذا يشير كلام الإمام الزهري : لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها، ما كتبت حديثا ولا أذنت في كتابته .(الخطيب البغدادي، تقييد العلم، تحقيق : يوسف العش، الثانية، دار إحياء السنة ص١٠٨)

الشريفة، المكتوبة والمحفوظة في صدور الرجال، كما قام بتوجيه كثير من العلماء الذين يسكنون دار الخلافة للكتابة في هذا الشأن، من أمثال الزهري، وأبي بكر بن حزم وغيرهما [١].

فكتب إلي عامله وقاضيه علي المدينة الإمام الحُجَّة أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنِّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء [٢].

وقد ذكر ابن عبد البر عن ابن شهاب الزهري قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز، بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلي كل أرض له عليها سلطان دفترا [٣].

فهذه بعض الملامح التجديدية من خلال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ذكرناها باختصار شديد ، ولمن أراد أن يستزيد فليرجع إلى كتب التاريخ ، فمقصودنا هنا ليس السرد بقدر ما هو العظة، وليس الحكاية بقدر ما هو التدبر، وليس التسلي بقدر ما هو الوقوف على حقيقة التجديد بشكل عملي ورسم واضح.

---

(١) يراجع : د. مصطفي السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص١٢٣ ، د. عزية علي طه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ص٣٦٧ .

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ١/١٩٤ .

(٣) جامع بيان العلم ٩٢/١.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، وبعد هذه التطوافة السريعة حول معنى تجديد الدين، مشروعيته، وضوابطه وآفاقه، يمكن استخلاص بعض النتائج وبعض التوصيات على النحو التالي:

أولاً: نتائج الدراسة:

١- أن مصطلح تجديد الدين ليس مصطلحا جديدا أو دخيلا على الثقافة الإسلامية، بل إنه يستمد شرعيته وكينونته من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها"، وبالتالي فإنه يحسن استعمال هذا المصطلح لا إهماله.

٢- إن كلمة التجديد وإن كان معناها في اللغة العربية يشمل التغيير والتبديل والتطوير، إضافة إلى المحافظة على الأصل والعودة به إلى حالته الأولى قبل أن يصيبه البلى، أو يشوبه التغيير، إلا أنها كمصطلح عند إضافتها إلى الدين، فإنها لا تعني أكثر من تجليته وتنقيته والعودة به إلى ما كان عليه في عهد النبوة.

٣- إن تجديد الدين – في هذا العصر- عمل ضروري من جهة تقادم الزمن، ودخول بعض البدع والمستحدثات عليه، وبالتالي بات في حاجة إلى تنقية وتجلية تظهر روعته وجلاله من خلال حسن العرض واستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة، والاجتهاد في استنباط أحكامه على الوقائع المستحدثة.

٤- إن تجديد الدين بالمعنى السابق، ليس فقط أمرا مشروعا، وإنما هو واجب الوقت، وأن على العلماء والدعاة أن يبذلوا وسعهم، ويأخذوا دورهم في عملية تجديد الدين في هذا العصر

٥- إن آفاق تجديد الدين ممتدة وواسعة، فتشمل أصوله وفروعه، مبادئه وأحكامه، ثوابته ومتغيراته، ذلك أن التجديد لا يعني الهدم أو العصرانية أو التطوير، وإنما تجلية وتنقية وحسن عرض.

٦- يلزم المجدد بعض الشروط التي يجب أن يتمتع بها قبل أن يمارس دوره في عملية التجديد، لما لها من خطورة وأهمية، ومن ثم فليس كل داعية أو دارس يصح أن يمارس التجديد

ثانيا: التوصيات

١-ضرورة الاهتمام بعملية التجديد ومن ثم فإنه يقع على الدعاة والمفكرين ولا سيما من تحققت فيهم شرائط التجديد أن يقوموا بدورهم في تجلية الدين وتوضيحه وحسن عرضه على الناس.

٢-كما يقع على المجدد الذي توافرت فيه شرائط الاجتهاد ببذل الوسع في تيسير العلوم الإسلامية، واستنباط الأحكام الشرعية للحوادث المستجدة وتوضيح أحكام الشرع لا سيما في المسائل الخلافية بما يتناسب مع روح العصر.

٣-الحاجة إلى التجديد الجماعي أو المؤسسي مثل الجامعات الإسلامية وفي القلب منها جامعة الأزهر الشريف والمجامع الفقهية، ولا سيما في المسائل الشائكة والتي تمس المجتمع أو تعم بها البلوى.

٤-الاهتمام باللغة العربية ونشرها باعتبارها اللغة الواسطة لتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وفقه التراث الإسلامي العريق.

٥-ضرورة الاستفادة من منتجات العصر الحديث العلمية والتقنية في خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، سواء في عرض الإسلام وعلومه أ،م نشره ودعوة غير المسلمين.

أهم المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

٣- ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

٤- ابن حجر، توالى التأسيس، تحقيق : عبد الله القاضي، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.

٥- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٦- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام،الأولى، القاهرة، دار الحديث.

٧- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، بيروت، دار المعرفة، الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون ، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م.

٩- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الثالثة، بيروت، دار صادر،١٤١٤هـ.

١٠- أنور الجندي، الثقافة العربي إسلامية أصولها وانتمائها، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

١١- بسطامي سعيد، مفهوم تجديد الدين، ،الكويت، ،دار الدعوة.

١٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٣- الرازي، محمد بن أب بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر ١٩٩٥م، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون .

١٤- السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، الأولى مطبعة السعادة، ١٩٥٢.

١٥- السيوطي، تحفة المجتهدين بأسماء المجددين، رسالة مخطوطة، دار الكتب المصرية، رقم ٨٢٦٠.

١٦- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، الأولى، القاهرة، مطبعة الحلبي.

١٧- شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، بيروت، مكتبة الحياة.

١٨- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، تحقيق : أحمد شاكر، الأولي، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٢٠م.

١٩- عبد المجيد السوسوه، الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، كتاب الأمة (٦٢) ذو القعدة، ١٤١٢هـ.

٢٠- عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الثامنة، القاهرة، مكتبة الدعوة الإسلامية.

٢١- عدنان محمد أمامة، التجدد في الفكر الإسلامي، الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩.

٢٢- علي المؤمن، الإسلام والتجديد، الأولى، بيروت، دار الروضة، ٢٠٠٠م.

٢٣- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٢٤- لؤي صافي، العقيدة والسياسة، الأولي، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٢٥- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، الأولي، دمشق، دار الفكر.

٢٦- مالك بن نبي، القضايا الكبرى (مشكلة المفهومية)، الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٩١م.

٢٧- محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الصحوة.

٢٨- محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، القاهرة، دار البشير.

٢٩- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، الرابعة، القاهرة، دار نهضة مصر.

٣٠- محمد سعيد البوطي، الإسلام بين التجديد المطلوب والتبديل المرفوض، ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢م.

٣١- محمد عبد الله دراز، الدين، الخامسة، الكويت، دار القلم.

٣٢- مروان القيسي، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، الأولى، عمان، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٥م.

٣٣- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الثانية، بيروت، دار النهضة الحديثة.

٣٤- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي، تحقيق مروان محمد الشعار، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٥م.